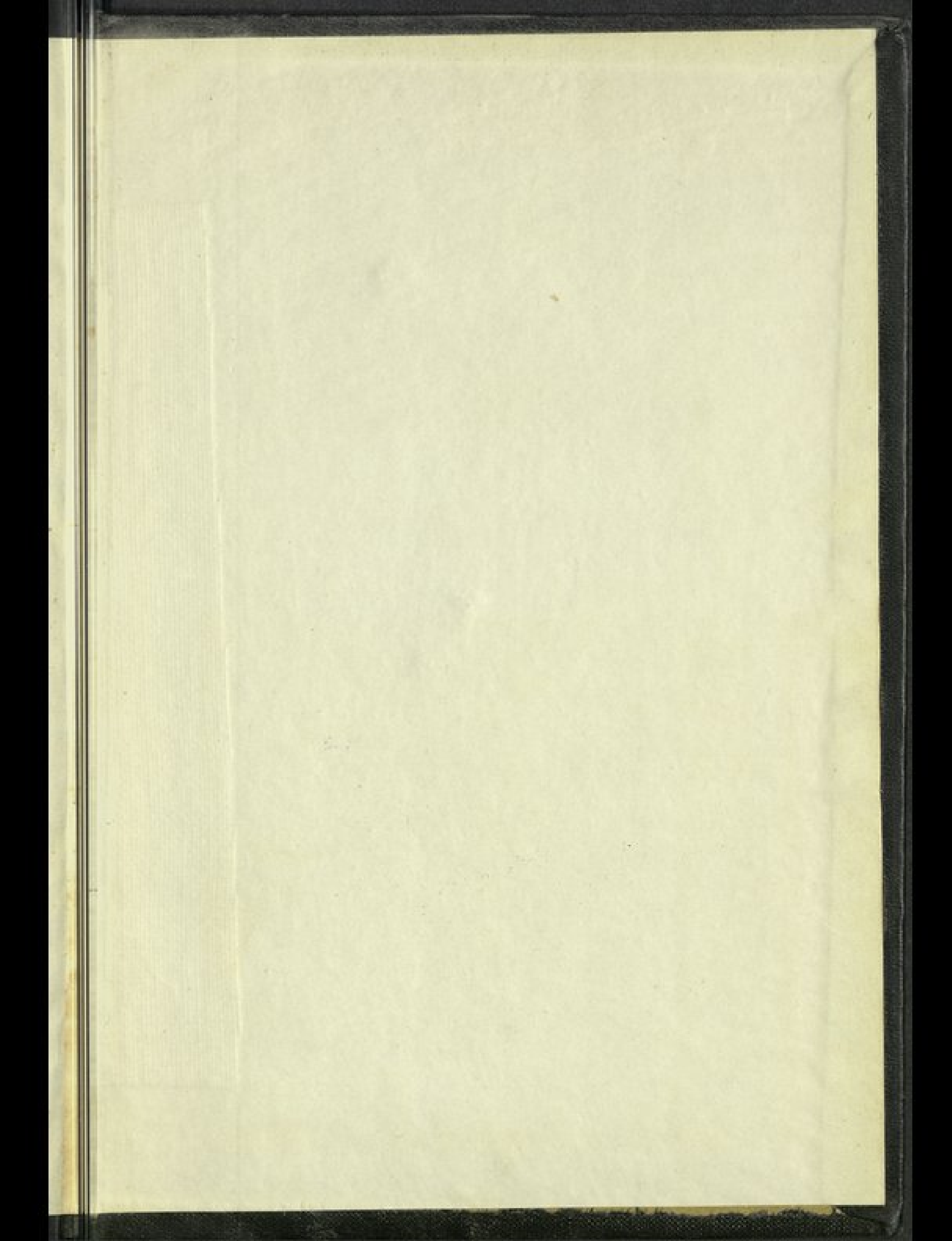
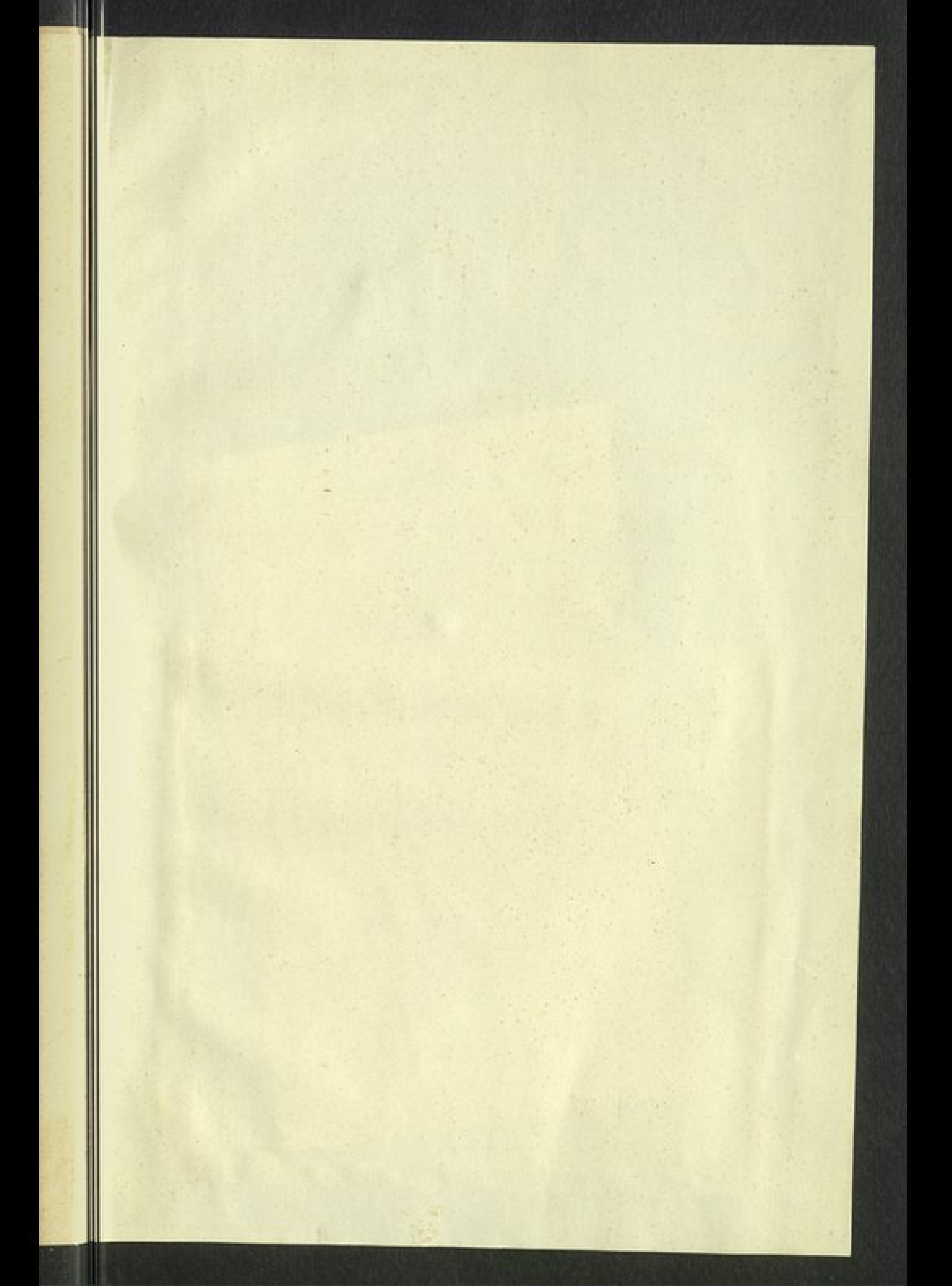
الثائرون في التاريخ







الثائرون في التاريخ

تأليف: دار الحكمة

— باشراف —

علي ناصر الدين

— الجزء الثاني —

الملك سيف



مقدمة

كانت الحلقة الاولى من سلسلة « الثائرون في التاريخ » التي تعنى « دار الحكمة » باصدارها ؛ دراسة للملك أذينة والملكة الزباء معاً . ويذكر القراء أننا جلونا في تلك الحلقة — التي صدرت في الشهر الماضي — صفحة من تاريخنا العربي القديم ، كانت مطموسة ، لا يعرف الا القليل منا، ما في ثناياها من حقائق ، تدلل على نبل النفس العربية ، ومبلغ تعشق العربي للحرية وتقديسه لها ، واستعداده الطبيعي للثورة في سبيلها . وقد فتحت تلك الحقائق بعد ان بسطناها، بسطاً تاريخياً علمياً ، آفاقاً بعيدة ، شعت فيها خيوط من نور، كتب الينا على اثرها ، نفر من اهل الفكر القوميين العرب ، يبدي اعجابه بعملنا هذا المتواضع ، ويعلق عليه امالاً في تعبئة الاجيال الطالعة ، التعبئة التي ترد على الوجود العربي كرامته ، وتنقل ماضيه الى حاضره فتجعل منها في المستقبل ،

امتداداً لهذا الوجود ، متطوراً في نطاق التطور البشري العام ، فكراً ، وعلماً ، وقوة . وتؤكد منزلة هذا الوجود من الركب الانساني ، او الوجود الانساني ؛ هذه المنزلة التي يصعب كثيراً ان يَشْغَلها بحق ، سواه .

اننا نعتبر موقف هذا النفر المفكر الكريم منا ، موقف تشجيع ، وهو بهذه الصفة ، في نظرنا ، عامل من عوامل كثيرة ، نحن في اشد الحاجة اليها ، لكي نقوى على المضي في اداء الرسالة التي يُثقل مناكبنا ، شعورُنا العميق ، بما فيها من قداسة ، ومن خطورة .

وها نحن اولاء ، نضع اليوم بين ايدي القراء العرب الحلقة الثانية من هذه السلسلة ، سلسلة « الثائرون في التاريخ » وهي دراسة لسيف بن ذي يزن وثورته على الاحباش .

وسيف هذا ، هو البطل العربي الشعبي الشهير ، الذي تتداول قصته ملايين الايدي العربية ، في مختلف احياء الوطن العربي ؛ تلك القصة التي ليس فيها من شخصية سيف وحقيقة كيانه العقلي والفكري والوطني ، شيء ذو بال ، يمكن ان يُنتفع به ، او يستحق ان يوضع بين ايدي الاجيال العربية الطالعة موضع التوجيه الصالح الرفيع . ذلك لما في

« قصة الملك سيف » تلك ، من السطحية ومن المبالغات ، من جهة ، ومن السذاجة والعَبْطِ من جهة أخرى .

وسيف في الواقع ، شخصية عربية تاريخية ، كبيرة جداً ، من الحيف ان لا تجلوها الاقلام العربية على حقيقتها الثابتة؛ ومن الخير كل الخير ان تُعرف في وضوح ، معرفةً تستند الى التحقيق العلمي ، وتقرر في اذهان المفكرين العرب ومن اليهم ، قيمة ذلك الرجل الذي اضاعت الافهام السقيمة ، قيمته؛ والذي لعب في تاريخ الوجود العربي دوراً بطولياً رائعاً ، وجعل من قضية بلاده وتحريرها ، قضية دولية في ذلك الحين من الدهر . فحررها بقوة السيف ، وحطم تحت حوافر جواده ، وجياد بني قومه الاصيلة ، سيوف الاحباش .

وقد جئنا بمحاولتنا هذه اليسيرة ، نجلو حقيقة هذا العربي الكبير الحر الثائر ، ونقرر في الاذهان قيمته ووزانته ، في نطاق الفكر والفروسية ، وحب الحرية والقبيل ؛ او الموطن .

ونحن على مثل اليقين بل على يقين تام ، بان عربيـــاً واحداً غير متهم باصله وكرامة نفسه ، وصحة تفكيره ، وصلته بوطنه ، يستحيل ان لا يُعنى بسيف وامثال سيف من الثـائرين المصلحين الخـيرين ، في تاريخنـــا ؛

وان لا يدلنا على مواضع الخطأ والضعف ، في حلقات هذه السلسلة ، سلسلة « الثائرون في التاريخ » وان لا يرشدنا ـ اذا هو كان مستطيعاً ـ الى جادة الصواب ، والحقيقة في مطاوي البحث والتنقيب ،اذاهو اطلع على هذه السلسلة او اية حلقة من حلقاتها التي ستتالى شهراً بعد شهر ، حتى ننتهي بها الى الثائر الاخير .
ومرجونا من الباحثين المنقبين ان يكشفوا لنا عمن يعتقدون بان من حقهم ان يُنظَموا في هذه السلسلة ، فقد تخطيء التوفيق في العلم بهم كلهم ، وهم كثر ، في تاريخنا الضخم المجيد.
واننا لنعترف علانية باننا لسنا في غنى عن مثل هذا الارشاد واننا نرحب به ، ونوسع في صدورنا له ، ونفيد منه ، ما قد نفيد به هذه الامة العربية الخالدة رغم كل شيء ؛ والتي يسهل من اجلها ، في نظرنا ، كل عسير .

دار الحكمة

اليمن في التاريخ

كانت الآثار الكثيرة التي كشفت عنها الحفريات في البلاد اليمنية ، سبيلا الى معرفتنا اشياء ذات قيمة ، من صلب تاريخنا العربي القديم ، وما يزال العلماء يترقبون العثور على كثير من الاثار في اراضي اليمن ، التي كانت « العربيـة السعيـدة » في سالف الزمان ، اذا هم وفقوا الى العثور عليها ، فليس من شك في انها ستلقي انواراً كشافة على حقب من التاريخ القديم مجهولة الماهية حتى اليوم ، تضيف الى المعرفة البشرية ، ثروة ذات شأن .

فقد كان من شأن هذه الاثار ، التي اكتشفت ودُرست في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ان اهـابت ببعض العلمـاء الى الاعتقاد بان اليمن ، هي اول بلد في العالم عرف المدنية ، ومنه انتقلت الى بقيـة آسية والى افريقية وشواطيء اوروبة .

كان اليمنيون أهل تجارة ، وكانوا أميل اليها منهم الى الغزو والغارات «[1]» .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي .

فبنوا لذلك المرافيء ، على شواطيء البحر الاحمر وعلى شواطيء بحر العرب .

وبنوا كذلك الحصون العظيمة اتقاء للغارات التي تشنها عليهم القبائل المجاورة ؛ فقد كانت هناك ـ الى جانب المدنية المستقرة ـ قبائل بادية ذات بأس[1] .

ولعل مدنيتهم ـ على رأي بعض الباحثين ـ قد سبقت مدنية بابل وآشور ومصر . بل كانت عاملا قويا لقيام هذه المدنيات على شواطيء النيل وفي بابل وآشور .

وفي التاريخ القديم نجد ان الدافع الذي دفع يوليوس قيصر الى غزو بلاد العرب هو المعلومات التي استقاها ، والتي انتهت اليه ، أن بلاد العرب غنية ، وان اهلها يخزنون الفضة والذهب ، وان فيها صناعة عظيمة . وكانت اليمن في مقدمة البلدان العربية التي يشملها هذا الوصف : اراض خصبة ، ومياه وافرة ، ومعادن ، وصناعة .

وما ميل الحميريين الى التجارة ، سوى نتيجة حتمية لانتشار الصناعة في اليمن ، والحاجة الى تصريف منتوجاتها في مختلف البلدان .

وقد وصل الحميريون بتجارتهم الى افريقية واوروبة بله سواحل أسية المجاورة والبعيدة[1] .

---

(١) محمد كردعلي . المقتبس ج. ٧ س. ٣٥ و ٨١ و ١٦٩

وكان من نتائج هذا الاتصال ، ان تعرف الافريقيون والاوروبيون والآسيوبون ، الى اولى ثمرات الحضـــارة : الانتاج الصناعي .

وبفضل هذه التجارة ، بدأت انظار الناس في العالم القديم تتجه الى بلاد العرب .

وبفضلها ايضاً ، بدأت انظار العرب تتجه الى البلاد البعيدة .

وكان من نتائج ذلك ، انشاء مستعمرات خارج البـلاد العربية . ففي مصر بنى عبد شمس ، ملك سبأ ، مدينة « عين شمس » وولى عليها ابنه « بابليون »(١) .

ان بناء مدينة « عين شمس » في اقليم مصر ، يدفعنا الى التفكير بالحاح في الامكانيات المعنوية التي ساعدت الملك « عبد شمس » على بناء هذه المدينة . من هذه الامكانيات، وعلى راسها ، في رأينا ، قبائل عربية كانت قد هاجرت الى مصر وسكنتها . وبفضل اللغة الواحـــدة ووشائج القربى استطاع « عبد شمس » ان يبني هذه المدينة . ومعنى ذلك ان الوجود العربي كان مشجعاً على البناء والانماء .

(٢) الدكتور جواد علي . تاريخ العرب قبل الاسلام.

وعبد شمس هو نفسه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولقب بسبأ ، لانه - في رأي - أول من أدخل السبي ، من ملوك العرب الى جزيرة العرب .

على ان التوراة تشير الى ان السبائيين ، وعاصمتهم صرواح ، هاجروا الى سواحل افريقية ، واستوطنوها .

والاحباش انفسهم يروون ان الاسرة الحبشية الحاكمة هي من سلالة ملوك سبأ .

مفهوم الخلود عند العرب في تلك العصور

كان لأكتشاف تمثال الملك « ذوجدن » ومعه ادواته الحربية ، اثر عظيم في تفسير المفاهيم الفلسفية العربية في الجاهلية الأولى .

فالى جانب تمثال « ذوجدن » وجدت نقوش عن لسان الملك نفسه ، مفادها : « اني اعددتُ ادوات الحرب هذه لدفع الموت عني ، فخانتني . »

وفكرة دفع الموت عن الانسان ، فكرة قديمة في التاريخ ، قدم الانسان ذاته .

ومن عبارة « ذوجدن » هذه ، تستطيع ان تستخلص

أن العرب القدامى رأوا في الخلود انه غير ممكن التحقيق وان الموت لا يُدفع بمال ولا بسلاح .

ولعل من هنا كانت استجابتهم قوية للديانات السماوية ، التي تقول بان هناك خلوداً من نوع آخر ، على غير هذه الارض .

ولعل للحضارة العربية يومها ، ومبلغ ما كان يراه فيها العرب من مجال للتنعم ، اثراً في تطلبهم الخلود على هذه الارض ، يتمتعون في نتاج حضارتهم متنعمين ، باستمرار لا ينقطع إلى الابد .

اليهود ابداً ...

دخلت اليهودية الى اليمن ، وفي نجران قوم من النصارى ، كانوا اهل فضل واستقامة ، ولهم رئيس محترم ، هو عبدالله بن التامر(١) .

وكان الذين حملوا اليهودية الى اليمن وبشروا بها ، عملوا على زرع البغض للنصارى في قلوب اليمنيين ، واستحثوهم على إبادة النصارى ، وزينوا لهم ان اليهودية تأمر بذلك .

---

(١) المقتبس ج. ٧ ص – ٨١

- ولا نستبعد ان يكون ذلك واقعاً - اذ لا يجوز ليهودي ان يجاور نصرانياً يؤمن بعيسى بن مريم ، الذي ينكره اليهود ولا يؤمنون بأنه أتى .

وهكذا تكون اليهودية في نشأتها الاولى ، علة نزاع وحقد لا تنطفي جذوتها إلا بانطفاء اليهودية ، او بانطفاء الاديان السماوية الأخرى .

وليلاحظ هنا ان اليهودية لم تكن تهدف الى خلق النزاع بين اقوام مختلفي العرق واللغة حسب ، بل كانت - وهذا أخبث ما في رسالتها - تعمد الى بذر الفتن بين الشعب الواحد ، باثارة فريق على فريق ، وتحريض فئة على فئة ، ليتفانى في قتال بعضه البعض الآخر ، لعله يفنى ..

وفي الظلم والبغي اللذين انزلهما اليهود « باصحاب الاخدود» خير شاهد على جرائم اليهودية ، التي تؤمن بسفك الدماء غدراً وفي الظلام ، ايمانها بضرورة افناء البشر في سبيل بقاء اليهود ، او وضع هؤلاء البشر - على الاقل - في حال لا يستطيعون معها ، الا ان يكونوا عاملين لمصلحة اليهود !

اصحاب الاخدود

قال تعالى في كتابه العزيز : « **قتل اصحاب الاخدود**»

النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد . » واصحاب الأخدود هؤلاء ، هم النصارى العرب الذين كانوا بنجران وعلى رأسهم عبدالله التامر .

كانوا عرباً نصارى يعيشون الى جانب الوثنيين العرب ، بأمان ؛ تربطهم وشائج قومية لا سبيل للأديان الى صرمها .

إلا ان اليهودية كانت شر ما بلي به الناس ، فهي حين دخلت اليمن ، بغّضت الاخ الى اخيه والابن الى ابيه وبذرت في القلوب بذور الفتن وبذور الحقد ، في حساب دقيق ! .

كان ذلك ، في عهد الملك « ذو نواس » عندما دخلت النصرانية الى نجران . ونجران اقليم يمني قريب من الحجاز .

وكان فيميون وصالح ، الرجلان اللذان ادخلا النصرانية الى نجران ، قد استحوذا على قلوب الناس ، بما للدين الجديد من روعة تتجلى في اقوال السيد المسيح ، عيسى بن مريم ، وفي تعاليمه .

وراع هذا الأمر المبشرين اليهود ، فثارت ثائرتهم ونشط كيدهم ومكرهم ، فراحوا يقلّبون الامور ظهرا لبطن ، حتى قر رأيهم على امر ...

وكان هذا الأمر ، اشعال نار الفتنة بين الملك «ذونواس» والنصارى في نجران ؛ فارسلوا واحداً من دهاتهم ، ذرب اللسان ، يجيد تنميق الحديث ، ويُحسن وضع السم في الدسم . وما اكثر هؤلاء فيهم ...

وقدم الرسول على الملك « ذو نواس » ، وتقرب منه في ذلة ومسكنة ، وجعل يحدثه - كذباً - عن طغيان النصارى في نجران ؛ وأنهم يسعون سراً لهدم عرشه وزوال ملكه ، وانه إن لم يبادر الى استئصال الدين النصراني من قلوبهم ، فان العاقبة ستكون وخيمة عليه ، وعلى عرشه وسلطانه . وتعلق الملوك الشديد بالعرش والسلطان ، يجعلهم يصدقون كل وشاية ، وينقادون الى كل واش كذاب ، ويرون الخطر حيث لا مكان لاي خطر فيفقدون السيطرة على اعصابهم ، ويندفعون في غير إمعان فكر ولا روية الى ارتكاب انواع الجور والطغيان .

واقتنع « ذو نواس » بكلام اليهودي ؛ وثار غضبه ، خوفاً على ملكه ، فسار في جيش الى نجران وحاصرها . ثم دعا اليه وجوه القوم ، وطلب منهم ان يختاروا بين ترك الدين النصراني او الموت . فقالوا له : « اننا وجدنا في

ديننا حقاً ، واطمأنت اليه نفوسنا ، فـلا سبيل لنا الى الارتداد عنه . »

فأمر « ذو نواس » جنوده أن يحفروا اخدوداً في الأرض ، وجاءوا بحطب جعلوه فيه وأشعلوا النار ثم اخذوا يدفعون بالجماعة اليه ،دفعة بعد اخرى ، ومعهم الاطفال والنساء والشيوخ ، فكان المنظر من الفظاعة بحيث تقشعر له الابدان وتتزلزل لهوله العظام .

ولكن اليهود لم يروا في هـذا كله امرا إدّا ، ولا شعروا بان في فعلتهم شيئاً من الوحشية او من الطغيان ؛ وفيما كان الموت يتلقف عشرين الفاً من ابرياء لا ذنب لهم إلا الايمان بما لا يؤمن به «ذو نواس» ، كانت ضحكات اليهود تتعالى في شماتة لا تستقيم لغير الوحوش .

النصارى يستنجدون

وأفلت واحد من اهل نجران من الموت ، وفر يستنجد ملك الروم . فشكا اليه الظلم الوحشي الذي لحقهم ، والدمار الذي حل بساحتهم ، فقال له قيصر : « بَعُدت بلادكم عن بلادنا ، واني مرسل معك كتابا الى ملك الحبشة ، فسر اليه . »

وحمل الرسول الكتاب وجاء الحبشة فكان له من النجدة ما أراد، وعزم الاحباش على الثأر للنصارى ، وفعلوا .

اليهود يزرعون والعرب يحصدون

نستطيع الآن ان نقرر أمراً واحداً وهو ان اليهود قد بلغوا غايتهم باثارة الفتنة بين الشعوب ، وتم لهم بذلك ما رموا اليه ، ووقع بين العرب والاحباش القتال ، الذي سيأتي خبره ، واتقدت نار الفتنة بين الفريقين ، فما ينطفي اوارها حتى يكون اليهود قد فكروا بفتنة اخرى ، وما اكثر ما اثاروا من فتن في تاريخ العالم : شرقه وغربه .

ولم يكونوا هم ـ بالطبع ـ ليتحملوا شيئاً من وزر القتال ، فالعرب قادرون على ذلك ، وسيان عندهم أغُلب العرب أم غلبوا . فالمهم ، عندهم ، أن تجري الدماء ـ دماء غيرهم طبعاً ـ لترتوي نفوسهم المجرمة . وهذا ماحدث.

الاحباش يغزون جزيرة العرب

لبى النجاشي دعوة النصارى وصرختهم . وسير حملة على اليمن تثأر للنصارى الذين احرقتهم فتنة اليهود .

وكانت في اليمن حصون ، لم يكن احد من الناس ليحلم يومها ، بسقوطها بين ايدي الاعداء . واشهر هذه الحصون : سلحين وبينون وغمدان[1] .

ولكن جيوش الحبشة بوفرة عددها ، وشدة حقدها الذي كان يضاعف من قوتها ، استطاعت ان تهزم جيوش ذي نواس ملك اليمن ، وان تحاصر الحصون وتستولي عليها . ولم يمض برهة من الوقت حتى دانت اليمن للاحباش . واستكان اليهود ، لا يأتون حراكا ، وبقي العرب وحدهم في الساحة ، ساحة المعركة التي تدور رحاها في الخفاء ، والتي تعد النفوس - حكما - لاضرام نار الثورة على الاحباش ؛ الثورة التي مهما يكن من شأنها بالنتيجة ، فهي لن ينال اليهود ، من اذاها ، من شيء ، ويكون النجاشي قد انتقم للنصارى العرب ، من العرب غير النصارى ؛ واليهود ، اهل الشر والفتنة ، والذين ما يعنيهم الا انهم يهود فحسب ، قبل كل شيء وبعد كل شيء ، ولو تفانى الناس ففنوا ، «يتفرجون» مغتبطين .

---

(١) المقتبس ج٧

الحكم الاستبدادي

دخل ابرهة — وكان يلقب بالاشرم — الى اليمن منتصراً، فاضاع هذا النصر الذي لم يكن يحلم فيه ، صوابه ، ومضى ينتقم من الابرياء ، انتقاماً وحشياً ، وافلت جنده يعيثون في الارض فساداً ، يقتلون وينهبون ويخربون دون حساب . والاغلب على الظن ان الخراب في اليمن ، بدأ منذ ذلك العهد«١» .

ونزلت باليمن أعظم بلية يستطيع الاستعمار ان يُنزلها في بلاد . فنامت نفوس اليمنيين على غيظ ، وباتوا يرزحون تحت وطأة النير الحبشي وما يجره من إفقار واذلال ، ولكن دون يأس ولا استخذاء ...

وكان من نتائج ذلك ، ان تعطلت التجارة اليمنية ، والصناعة ايضاً .

ومُني الشعب بفقر كثير . فهاجرت قبائل كثيرة الى الشمال والجنوب والشرق ، ودوّى في الآفاق اسم أبرهة الأشرم ، يثير الرعب والاشمئزاز ، ويغرس في النفوس الحقد

---

(١) المقتبس . اليمن وسكانها .

وكان في هذا كله ما يمهد لامور ، ستظهر بوادرها في الوقت الذي قدر لها ان تظهر فيه ، « والامور مرهونة باوقاتها » .

ذو يزن

بعد ان حقق ابرهة انتصاره على اليمن ، اخـــذ يشتت الأذواء . ويقتل من يحلو له قتله منهم ؛ ثم يضيف زوجاتهم الى زوجاته .

وكان ممن اخذهن الى « بلاطه » قسراً ، ريحانة زوجة ذي يزن ومعها ولدها سيف . بعد ان توارى زوجها عن الانظار ولم يعرف مقرّه .

ونشأ سيف بن ذي يزن بين اولاد ابرهة الذين اتخذهم اخوة له ، وهو لا يدري من امرهم ، وأمر ابيه ذي يزن ، شيئاً .

كان ينادي ابرهة : يا ابي . ويعتبر اولاد ابرهة اخوة له ، في الوقت الذي تبين فيما بعد ، ان اباه « ذو يزن » كان يجوب البلاد عرضاً وطولاً ، ويسأل النـاس العون على تخليص اليمن من شر أبرهة وحكمه . حتى استقر به المقام في بلاد الفرس . فطلب الى ملكها ان يساعـــده على طرد الاحبـــاش ؛ فوعده مماطلا ، واستبطأ ذو يزن انجاز

الوعد ، حتى ان المطل كان اطول من عمره . فقد وافته المنية في بلاد فارس ، فمات غما وحسرة ، منسياً من جميع الناس ، حتى من العرب الذين لعلهم لم يسمعوا باسمه بعد فاجعته ، قبل اليوم ...

وهكذا قضى الرجل الذي استنفره الظلم والاستعمار ، الى جوب بلاد الله ، علّه يجد نصيراً ، يدفع معه عن وطنه البغي والعبودية .

تفكير ابرهة

بعد ان استتب الامر لابرهة ، راح يفكر في كيف يمكن ان يعيد الى النصرانية ، ما كان لها من مكانة وروعة في نفوس العرب اليمنيين . وقرر في اول الامر ، ان يحاول ذلك بالحسنى وبالدعوة الصالحة . فبنى في صنعاء كنيسة ، لم يشهد التاريخ في الشرق ، الى ذلك الوقت ، اروع منها. فقد بالغ في زخرفتها من الداخل ، بشكل ما كان يمكن ان يخطر ببال الناس في ذلك الزمان ، وزينها بالصور ، وثمين الرياش ، بغية ان يصرف الناس عن البيت العتيق في مكة ، وان يحول انظارهم الى صنعاء .

ولكن العقائد الموروثة ، من الصعب القضاء عليها بمثل السهولة والاسلوب اللذين تصورهما ابرهة ، فقد زاد عمله هذا في ما كان من حب للكعبة في نفوس العرب ، فغضب لذلك غضباً شديداً جداً . واثار سخطه ، ان رأى اهل اليمن كلهم ، يستهويهم حب البيت العتيق في مكـــة ، ورآهم يتكلفون السفر الشاق من أجل زيارته والتبرك به . فجمع اهل مشورته ليباحثهم في هذا الشأن . ويقرر معهم امراً.

اصحاب الفيل

انتهى أبرهة الى رأي في غاية الخطورة ، هو ان يهدم الكعبة ، فتتحول بذلك انظار العرب عن هـذا البيت الذي يجمع قلوبهم على حب ، ويعقدها على اتحاد . وجهز لذلك جيشاً كبير العدد ؛ واستخدم الفيلة تتقدم الجيش ، وسار الى مكة .

ونال العرب من هذا قلق شديد ، وراحوا يتشاورون ، فاذا هم يغلب عليهم التشاؤم والتردد .

ويقول بعضهم ، لعل هذه الاصنام تذود عن نفسها ...
ويقول آخرون ، ليس من الحكمة ان ينال منا الخوف ، فان

رب البيت ، رب ابرهيم واسماعيل ، لن يتخلى عنا .

وكان رجل من اهل اليمن يدعى ذا نفر ، قد علم بالامر ، فثارت حميته واستنفر قومه لقتال ابرهة ، ولكنه لم يصمد لذلك كثيراً ، فأخذ أسيراً ، وانتهت بانتهاء امره، كل مقاومة ايجابية لجيش ابرهة .

كان أبرهة في طريقه الى مكة ، يلقى كثيراً من قبائل العرب قد خفت للدفاع عن البيت . ولكنه كان ينتصر عليها ، لانها لم تكن منظمة الصفوف ، ولا موحدة القيادة . ولعلها لو كانت على شيء من التنظيم ، ووحدة اللواء ، لم يعجزها رد ابرهة وجيشه . بل لعلها كانت قويت على تحطيم ذلك الجيش ، في غير كثير من العناء .

ابرهة على اسوار مكة

حاصر أبرهة مكة ، ثم دعا اهلها الى مفاوضته . فارسلوا اليه سيداً من أسيادهم هو عبد المطلب .

ودار بين الرجلين حديث طويل ، نستطيع ان نلخصه فيما يلي :

قال ابرهة : إعلموا اني ما جئت لحربكم ، ولكن للقضاء

على هذا البيت ، فان لم تمنعوه ، نجت لكم ارواحكم .

قال عبد المطلب في الم ، ان للبيت رباً سيمنعه .

قال ابرهة : ما كان ليمتنع عليّ .

قال عبد المطلب : أنت وذاك وسنرى«١» .

أنقذ البيت . وذهب عبد المطلب ومعه جماعة الى الكعبة، فأمسك بحلقة الباب وجعل يدقها ويستنصر الله على ابرهة وجنده . ونصر الله عبد المطلب وجماعته !

وجعل ربك كيد ابرهة في تضليل .

فعاد عن الكعبة وقلبه يكاد يطير شعاعاً من خوف ،

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟ فارسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل . »

ريحانة

بعد الخيبة التي مُنيَ بها أبرهة الأشرم ، عـاد الى اليمن مهيض الجناح ، يستعيذ بالله من شر ما رأى ، ومن ذل ما مُني به من هزيمة . وآثر ان يستكين بعض الوقت ،

(١) قصص القرآن .

ليذهب عن نفسه الروع .

وتناهى اليه ان الامير سيف ، الذي توبى في بلاطه وبين بنيه ، قد أختفى من كل مكان في البلاد .

وعبثاً حاول ابرهة العثور على سيف ، فارسل في طلب ريحانة وسألها . فأجابته بصوت فيه عزم وفيه قوة : « لقد كبر سيف ، ورأيت ان الأمانة قد آن لها ان تنتقل مني اليه . فأخبرته بقصة أبيه وبلاده .

وسيف كما تعلم عربي ابن عربيّ . لم يكن في حاجة الى من يدفعه الى تحرير بلاده ، فان له من نفسه دافعاً ، ومن شهامته ونخوته قوة ، ليس إلى كبتها من سبيل . »

وطار صواب أبرهة حين سمع منها هذا الجواب . ولكنه كان يحب الامير سيف . وكان يتعشق مزاياه ، ويتمنى لو انه كان ولده صلباً لا بنوة . فعنف ريحانة لأنها باحت له بأشياء كان من واجبها – في رأيه – كتمانها عنه.

الامير سيف

فتى عربي اصيل ، أسمر الجبهة في عينيه نور ايمان وفي نفسه ترفع واباء .

وسيف ربيب بيت عريق في بيوتات العرب . ابوه ذو يزن ، احد الأذواء الذين ملكوا بعض الوقت على اليمن ، وأمه ريحانة ، تلك المرأة الفاضلة التي ربته ليكون سيفاً في صدر الطغاة والمغتصبين .

خرج الامير سيف من اليمن ، وفي نفسه تلفت مغموس بأمل العودة الى صنعاء ، وامام عينيه ، في الافق البعيد ، حلم جميل رفيع ، يداعب نفسه الفتية الصلبة ، فيذكي في صدره نار العزم ، ويوسع له في القدرة على مصاولة الشدائد والاخطار ، حين يطول الطريق ، وتكثر الاخطار والشدائد .

خرج الامير سيف وحيداً لا ناصر له إلا ايمانه بحرية بلاده ، والا نخوة عربية تهز اعطافه وتثبت قلبه .

ومضى يطلب ارض الروم ، وكانت الطريق طويلة وشاقة ، وخطرة . فكان لا بد له ، ليدفع عن نفسه كل خطر قد يعترض مسيره ، ايا كان هذا الخطر ، ومن اين ما جاء ، ان يعتمد على نفسه ، على شجاعته ورباطة جأشه . وليس على اي شيء غير شجاعته ورباطة جأشه . وقد استغرقت رحلته هذه من اليمن الى القسطنطينية ، اشهراً غير قليلة ، تخللها غير قليل من الاحداث ومن المفاجئات

ولعلها اول رحلة من هذا النوع قام بها هـذا الفارس العربي . وما أشبه رحلته هذه - عدا الغاية منها - برحلة امرىء القيس ، من قبل .

على انه كان لأمريء القيس ، صاحب يشاطره آلام الطريق ، ويحمل كل منهما الآخر .

ولم يكن للامير سيف من رفيق غير سيفه وهمته .

وان في هذا لما يدعو الى الاعجاب حقا ، بصبر هـذا الفارس النبيل ، ومضاء عزيمته ومبلغ ما وصل اليه من قوة الاعتماد على نفسه .

كان يعرف من غير شك ان الطريق امامه لا تنتهي الا في شهور . وان الجوع والعطش ، وربما الموت ايضاً ، هذا كله ، يكمن له في جنبات هذه الطريـق . ولكنه لم يعبأ بهذا كله ، فقد كان يعلم انه يطلب عظيما ومن طلب العظيم ، صبر على العظيم .

يقول الاستاذ محمد كرد علي[1] ان سيف مر ، في بلاد الشام ، بقبيل من العرب ، نزل عليهم ضيفاً فبالغوا في اكرامه ؛ وانبأهم نبأه ، فاكبروا مراده وشجعوه ، معجبين

(١) المصدر السابق .

على المضي في سبيله ..

ولم تقع على ما يشير من قريب او من بعيد ، الى هؤلاء الذين اضافوا الملك سيف واعجبوا به ، وشجعوه على المضي في سبيل مراده ، من هم ؟

افلا يمكن ان يتبادر الى الذهن انهم قد يكونون من الغساسنة ، والغساسنة عرب اقحاح ، من أزد اليمن ، موطن سيف الذي يجوب الارض من اجل انقاذه ! اي موطنهم هم انفسهم ، قبل ان يغادروه الى الشام ، ان موقف الغساسنة القومي العربي ، يوم تدفق العرب على ديار الشام بعد الرسالة ، اي بعد رحلة سيف هذه باكثر من سبعين سنة وتخليهم عن الروم ، وهم مثلهم يدينون بالنصرانية ، لينحازوا الى المسلمين العرب ، لانهم عرب مثلهم ، ليس غير ؛ مغلبين الرابطة القومية على الرابطة الدينية ، هذا الموقف القومي الرائع المشرف ، يحملنا على الجزم بان ذلك القبيل الذي مر به سيف في ديار الشام ، هو من الغساسنة ، مواطني سيف العرب الاقحاح ، فشجعوه على الاحباش وهم مثلهم يدينون بالنصرانية ، لمجرد كون سيف عربياً مثلهم تربطهم به رابطة العروبة .

وليس غريباً ان يكون الغساسنة اخبروه خبر ابيه ، « ذي يزن » الذي كان قد مر بهم قبله ، وهو ماضي العزيمة ، متدفق الحس العربي والشجاعة الاصيلة . فشحذ هذا الخبر من همة سيف ، واذكى في نفسه نار الانطلاق الى غرضه ، في مزيد من العزم ، والصبر على المكاره ، فمرق على فرسه ، مسرعاً ، وفي مرح ، شطر بلاد الروم ، حتى اذا انتهى الى حمص ، استضاف رجلا عجوزاً فيها ، فالفى عنده كرماً وانساً ، انسياه متاعب الطريق .

ودار بين الامير سيف والرجل حديث طويل ، تبين له منه ، ان الرجل كان من الذين رافقوا اباه ذا يزن ، فغلب سيفَ التأثر ، وقفز الى عنق الرجل يستنشق عبق ابيه . وعجب الرجل لفعلته ، فسأله في لهفة : من يكون الضيف الكريم ! فقال سيف وهو يمسك الدموع في عينيه : انا يا عم سيف بن ذي يزن !

وكان مشهد يهز المشاعر هزا عميقاً . فقد دهش الرجل العجوز لحظة ، ثم راح يبكي غارقاً في ذكريات بعيدة غالية ، ثم انكب على سيف يقبله في رأسه وجبينه وصدره ، ويقول : انت سيف ! ثم عاد الى نفسه يغالبها لتسكن ،

فما ان سكنت نفسه ، فاطلعه سيف على نياته ، حتى اخذ سيف بين ذراعيه وانفجر بالبكاء من جديد ، فرَحاً واعتزازاً. وراح يسأله ويفيض في السوآل ، وسيف يروي له ما تقاسيه اليمن من ويلات واهوال ؛ يتبدّى ما في نفسه من ثورة ومن الم ، في عنف صوته العادي ، وفي الدموع المتحجرة في عينيه .

والرجل العجوز يُصغي ، وكانما هو يصغي باذنيه وعينيه وعقله وقلبه معاً ، حتى اذا ما توقف سيف هنيهة ، يحاول كبت المِه وثورته ، قفز الرجل الى سيفه ودرعه يتناولهما من وتد في الجدار ، ويعاهد سيفاً على النضال في ركابه لتحرير اليمن ، ولكن الشيخوخة في عمره لم تقو على حمل الفتوة والحماسة تتأجّجان في أعماق نفسه ، فسقط على ركبتيه، واطلق من صدره ، زفرة حرّى ؛ وبكى هذه المرة بكاء لوعة وحسرة[1] .

---

(١) هذا الحديث بين سيف والرجل العجوز لم نقف على حقيقة له في غير سيرة سيف الشعبية ، وناخذه لانه يتفق الى حد بعيد مع منطق الحوادث ، ليس غير . مع العلم ان هذه السيرة ، مغرقة في بعد التصور وسعة الخيـــال ، ولا يصح ان تكون مرجعاً علمياً ، وان تكن لا تخلو من شيء من الحقيقة في الاساس الذي قامت عليه .

الامير سيف في بلاد الروم

دخل الامير سيف بلاد الروم ، في ربيع سنة ٥٦٣م على الأرجح .

وقد اصابته حمى هناك ، أقعدته حيناً ، حتى كاد يشرف على الموت . ويذكّرنا هذا ، بمرض امريء القيس في بلاد الروم . على ان حظ سيف كان ان نجـا ! ولم ينجُ امروء القيس .

وتحدثنا السيرة الشعبية « بأن اميرة رومية هنـاك ، احبته وعرضت عليه الزواج منها ، فاعتذر ، مدعياً بان امامه اعمالاً جساماً ، عليه ان يقوم بها ، وفاء لوطنه » .

ونحن لا نستغرب مثل هذا الخبر ، لا نستغرب ان تكون فتاة من الروم في القسطنطينية علقت الامير سيف ؛ فهو من جهة ، امير . وهو من جهة اخرى ، اسمر عربي بهي الملامح . مهيب الطلعـة . كما لا نستغرب ان يكون سيف — رغم انه قد يكون تأثر بحب الفتاة — لم يُبد اي اهتمام او رغبة في الزواج ، لما كان يشغل فكره وقلبه من مشاغل تتركز في حبه لوطنه ونضاله لتحرير هذا الوطن.

انتظر سيف في القسطنطينية شهوراً ، حتى استطاع الاجتماع بملك الروم .

وكان يومئذ هرقل ، وقد خفف عنه عبء الانتظار الطويل هذا ، ما كان يعلل به نفسه من استجابة هرقل لاستنجاده به . على ان ملك الروم ، ما ان عرض عليه سيف امره ، حتى خذله ، محتجاً بان الاحباش يدينون بالنصرانية ، فليس الى نصرته عليهم من سبيل !

والصحيح انها حجة معقولة ، ما دام ليس هناك رابطة تربط هرقل بسيف ؛ فلا سيف رومانيـــاً ، ولا هرقل عربياً ، ليصح ان نطلب منه تغلب الرابطة القومية على رابطة الدين ؛ وما نستطيع ان لا نرى في سيف شيئاً من السذاجة حين يستنجد بملك الروم في مثل هذه الحال .. فالمسألة هنا تختلف اختلافاً كلياً عنها مع الغساسنة الذين وان دانوا بالنصرانية ، ديانة الرومان ، فانهم عرب ، تربطهم بالمسلمين(1) ، من العرب ، رابطة العروبة ؛ وليس من رابطة اقوى من الرابطة القومية تنتظم كل ما في حياة امة واحدة من طرق تفكير ، ومن مصالح وحالات ..

(1) قاتل الغساسنة في سنة ٦٣٥ م. اي سنة فتح العرب ادبار الشام مع المسلمين العرب ضد الرومان المسيحيين .

وكاد ألم الخيبة يعمل في نفس سيف ما لم تعمله مشاق الرحلة ، واخطار الطريق ؛ كاد يفت في عضده ويطفيء جذوة النضال ، في صدره ، من اجل بلاده ؛ لولا ان سيف كان يحب اليمن حباً خالصاً . ويؤمن بحق وطنه وحريته ايمانا صادقاً . لا يشوب حبه شائبة نفاق . ولا يخالط ايمانه كفر . كفر يفرضه مال . او خوف . او اي غرض خاص ، شأن مرتزقة القضايا الوطنية . من ضعاف النفوس ومضطربي الاخلاق . ولهذا كله ارتفع سيف فوق ألم الخيبة ، وغادر القسطنطينية يضرب في السهول والفيافي وفي الاودية والجبال ، والذي في نفسه ، في نفسه ، من عزم واقدام ، واندفاع ، وتصميم على الثأر : على طرد الاحباش .

الامير سيف في الحيرة

ما نستبعد ان يكون الامير الفتى ، في عودتـــه من بلاد الروم ، الى بلاد العرب ، ومروره في الشام ، حيث الغساسنة ، بيض الوجوه كريمة احسابهم ، شمُّ الانوف من الطراز الاول ، هؤلاء الذين ترجح عندنا انهم هم الذين

اضافوه وبالغوا في اكرامه ، واعجبوا به وشجعوه ، يوم مر بالشام الى القسطنطينية ، ما نستبعد ، نقول ، ان يكون الامير الفتى خطر في باله ان يستنجد بهم - وهم عرب اقحاح مثله ، ومن مواطنيه اليمنيين في الاصل - لولا ان يكون فطن الى ان الشام تعيش تحت لواء الروم ، وان الغساسنة ، وان كانوا من عربه ومواطنيه في الاصل ، ويملكون في الشام ، فان للرومان عليهم سلطانا ، وهو بعد دامي القلب ثائر النفس ، من خذلان هرقل امبراطور الرومان له . وعلى هذا ، فلا بد ان يكون سيف جانب منازل الغساسنة ، واختار له ، الى الحيرة في العراق ، مجازاً ، بمعزل عن هذه المنازل .

وكان سيف قد بدأ يتجه بفكره نحو النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة ، وما جاورها من العراق العربي ، في امبراطورية الفرس ؛ فقصد اليه ، واستقبله النعمان ، في بشاشة وترحاب واضفى عليه من العطف ، يمازجه كثير من التكريم ، ما بعث في نفسه ، وهو الفتى ، كثيراً من الغبطة والطمأنينة والامل ، وكاد ينسيه اخفاقه ، هناك ، في بلاد الروم .

وروى سيف للنعمان اخبار اليمن ، واطلعه على عدوان

الاحباش واحتلالهم بلاده ، وافاض في وصف الطغيان الحبشي ، وما يتعمده من استعباد ، ومن تخريب وتدمير ، واذلال ، الامر الذي تضيق به النفوس الحرة وتأباه ، والذي يجدر بالعرب ، قبل غيرهم ، ان يثوروا عليه ، ويتخلصوا منه ، وهم اهل العزة والنخوة والاباء . ثم قص سيف على النعمان قصة رحلته الى القسطنطينية ، وما كان من رد هرقل له مخذولا ، وما ترك هذا الخذلان من اثر في نفسه ، مما جعله يندم على هذه الرحلة ، ويحاول ، من اجل انقاذ بلاده وتحريرها ، ان يلتمس له عند الملك ، رأيا ونصرة ، فهو ملك عربي ؛ من حق هؤلاء العرب الذين اغتصب الاجنبي بلادهم ، وراح يسومهم الذل والخسف ان يتطلعوا في محنتهم اليه ، ويعلقوا عليه امالهم في الخلاص.

ونحن في الواقع ، ما نستطيع الا ان نرى في حديث سيف هذا ، كثيراً من المنطق ، وكثيراً من الحق ، ولكن هذا نفسه يثير في صدورنا رغبة في التساؤل عما حدا بسيف في صدد تحرير اليمن ، ان يفكر ، اول ما فكر بالرومان يستعديهم على الاحباش ، ويستنجد بهم ، لاخراجهم من بلاده ، فيقطع آلاف الاميال ، معرضاً بنفسه لشتى

المتاعب والاخطار ، ليصل الى عاصمة الروم ؛ والحيرة ، - نسبياً - ، على رمية سهم منه .

ان في الجواب عن هذا التساؤل ما قد يكشف شيئاً من حقيقة الاوضاع الاجتماعية القائمة يومذاك في بلاد العرب او شيئاً من حقيقة النفسية العربية ، جملة ، تنتظم العرب ، في عهد ، تسودهم فيه روح المجتمع القبلي ، بين امبراطوريتين من اعظم الامبراطوريات التي عرّفها التاريخ الينا : الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية .

ولكن الجواب عن هذا التساؤل ما هو ؟ وما السبيل الى ان يجيء جواباً يُقره المنطق ، ويصيب من الصواب في عقلية اليوم ، قدراً مما كان صواباً في ذلك العهد ؟!

لماذا لم يستنصر سيف جماعة الفرس ؟ وهم اقرب الى اليمن ، من الرومان اليها ، وللروم شيء من السيادة على عرب الشام ، مثل ما للفرس شيء من السيادة على عرب العراق ؛ ونعني بهذا ان الرومان من ناحية العلاقة ببعض بلدان العرب ، لا يختلفون عن الفرس في علاقتهم ببعض آخر من هذه البلدان !

هل كان عرب اليمن يحملون في نفوسهم للفرس ، شيئاً من سوء الظن بهم ومن الكره لهم اكثر مما يحملون

للروم ، لبعد الروم عن اليمن ، وقرب الفرس منها ، ولمعرفتهم من شؤون العراق العربي وشؤون الفرس فيه - اذا هم كان لهم شيء من المعرفة في هذا الشأن - اكثر مما يعرفون من شؤون الشام ، وشؤون الرومان في الشام! فاحسن سيف الظن بالروم ، وهم ، عدا ان بلادهم نائية من اليمن ، يدينون بالنصرانية ، الدين الذي يدين به الاحباش اعداؤه الذين يستنصر الرومان عليهم ! ام ان العرب قاطبة في ذلك الحين ، ومنهم عرب اليمن ، رغم وثنيتهم ، كان في نفوسهم حس" او حَدْس ان النصارى ، - وفي العرب قلة ضئيلة كانت قد اعتنقت النصرانية ، - اجدر بايلاء الثقة وامرع الى النجدة ، والنصرة بالحق ، لما في دينهم من سمو وانسانية ، من المجوس الفرس ، عباد النار ؟!

ام ان عرب اليمن كانوا يعتقدون - صوابا او خطأ - ان الرومان اجل شأنا من الفرس ، واعظم قوة ، واعمق هيبة ؟! ويقتضي هذا ان تكون نجدتهم - اذا هم انجدوهم - ابعد تأثيراً ، من نجدة الفرس ، واوفر نصيباً من الامل في التغلب على الاحباش ، واخراجهم من اليمن ؛ واليمن ليست موضع مطامع استعمارية بالنسبة الى الروم ، وقد

تكون كذلك بالنسبة الى الفرس !

ان الجواب عن هـذه السوآلات ليس بالامر السهل ، فالمصادر التي بين ايدينا ، ضحلة ، تكاد توصف بالنضوب في هذه الناحية ، وقصيرة مدى الاشعاع ، حتى لتَعْجِز عن ان تنير بعض السبيل للباحث المتثبت ، او تُعجز هذا الباحث ! فما يستطيع ان يكشف باشعاعها الضئيل الشاحب ما يحب ، ويعتقد ان من حق قرائه عليه ، ان يكشف لهم عنه . وبالرغم من هذا كله ، فنحن مدعوون في الحاح ، الى ان نجيب عن هذه السوآلات ، وسنجيب عنها في قصد ، غير متجاوزين حد الترجيح ؛ الترجيح ، دون الجزم .

قلنا فيما مرّ من خـبر سيف ، ان في قصده الى القسطنطينية يستنجد بالروم على الاحباش ، شيئاً من السذاجة وما ندري فقد يكون في هذا شيء من التجني على سيف . على ان قولنا هذا ، انما نستند فيه الى ان الروم لا تربطهم بعرب اليمن اية رابطة ، وتربطهم بالاحباش رابطة الدين ، هذه الرابطة التي اذا كان العرب لم يكونوا يُحسون عمقها في ذلك الحين ، ولا يقدرون وزنها قدره الصحيح ، فعلى العكس من ذلك ، كان الرومان ؛ والرابطة هذه اي رابطة

الدين كانت حديثة النشأة ، بين الرومان وبين العرب النصارى في اليمن ، وكان الرومان ، تتوقد الرغبة في نفوسهم بان تقوى هذه الرابطة وترسخ ، ومـا زحف الاحباش النصارى على اليمن الا ظاهرة من ظواهر هذه الرغبة ، في تقويتها وترسيخها ، هذه الرغبة التي يحسن ان نعقل ، ما كان يثيرها ويبررها في ذلك العهد ، من ايمان بدين سماوي ، رفيع خيّر ، بازاء وثنية باردة قاسية متبلدة ، والاحباش هم الذين يعتمدهم الرومان لنشر النصرانية في اليمن ، وتمتين العلاقة بين اليمن وبينهم ، بواسطة الدين . فليس من المعقول ولا من المترقّب ، ان ينصر الامبراطور الروماني ، الامير سيف بن ذي يزن ، على الاحباش ، وهم نصارى مؤمنون مثله بالنصرانية ؛ واليمانيون ـ عدا اهل نجران ـ وثنيون غارقون في الوثنية ، ويهود متعصبون ليهوديتهم ، ممعنون في الكفر بالنصرانية ، والعداء لها ، وتأليب الوثنيين عليها. وقبل هذا كله ، فان روما هي الـتي شجعت الاحباش على غزو اليمن واحتلالها ، بحجة الثأر لنصارى نجران الذين افناهم او كاد « ذو نواس » اليهودي ، صاحب « الاخدود » !

فما الذي حمل « سيف » اذن ، على ركوب الصعاب

الى القسطنطينية ، يستنصر الامبراطور الروماني على الاحباش دون كسرى ؛ وكسرى وثني يكره النصرانية ، وفارس دانية من اليمن ، بالنسبة الى بلاد الروم ؟!

اننا نرجح ، بعد هذا الذي بسطناه كله ، انه يجب ان يكون هناك عاملان لتفسير هذا الامر .

اغلب الظن ان العرب اليمانيين ، كانوا يعرفون من سياسة الفرس الذين يبسطون سيادتهم الى حد ، على العراق العربي ، اكثر مما يعرفون من سياسة الرومان المهيمنين ، على الشام ؛ بالنظر الى قرب العراق منهم ، بالنسبة الى الشام . وكان في ما يعرفونه من هذه السياسة ، شيء يتصل بغطرسة الفرس وتطولهم على العرب ، واستخفافهم بهم وازدرائهم لحياتهم البادية ، وما يضمرونه لهم من نظرة المتبوع الى التابع ، وما الى ذلك من امور . وكانوا لا يعرفون شيئاً ، تقريباً ، عن سياسة الروم في الشام ، يتسم بهذه السمات ؛ هذا اولا . وثانياً ان العرب في اليمن ، خاصة ، وفي غيرها من الاحياء العربية عامة ، كانوا بدأوا يُحسّون حساً غامضاً ، ولكنه حس عميق ، ببرودة هذه الوثنية وقسوتها وتفاهتها ، ويأنسون بالنصرانية ، ديناً

سماوياً رفيعاً سمحاً ؛ لا بد ان يكون اهله من انصار الحق والكرامة وحرية الانسان . ولا بد ان يكون ابرهة الطاغية لا يمثل هذا الدين تمثيلاً صحيحاً ، والرومان السادة واصحاب السلطان في النصرانية في ذلك الحين ، لا يرضون عن اعمال ابرهة وتصرفاته ، وان يكن ابرهة يدين بالنصرانية مثلهم ؛ فالنصرانية تكره العدوان والطغيان !.

وقد نستطيع ان نضيف الى هذا ، انه من الممكن ان العرب كانوا يعتقدون او يظنون – على الاقل – كما ظن سيف ، ان الرومان اعظم قوة من الفرس ، واجل شأناً واعمق هيبة ، فاذا هم انجدوه ، فان نجدتهم قد تهز الاحباش خوفاً ، وتفت في عزيمتهم ، وتقوي معنويات العرب ، وتشدد من عزائمهم ، اكثر مما تفعل نجدة الاعجام ! هذا ما نرجح انه كان – مجتمعاً – الدافع الى الاستنجاد بالروم دون الفرس ، ولكن هرقل امبراطور الروم ، كذّب هذه الظنون ، وهذا الحِسبان . فانقلب سيف آسفاً ، حسِرا ، غاضباً ؛ وفي نفسه عدا الاسف ، والحسرة ، والغضب ، فكرة ما نستبعد ، ان تكون تركت اثراً بعيداً في نفوس عرب اليمن ، وهم في اواخر عهدهم الوثني ؛

وبعد انتصار سيف على الاحباش ، في العام الذي وُلد فيه صاحب الرسالة ، وقبل مبعثه بما يقرب من اربعين سنة ليس اكثر ...

ولم ير سيف من بد ، بعد ما مُني به من خيبة امل وفشل مسعى ، من ان يقصد الى النعمان ملك الحيرة ، في امبراطورية الفرس ، ففعل ، وقص على ملك الحيرة قصته ، او بالحري مأساته ، وها هو يكرر على مسامع الملك العربي قوله : « ان هؤلاء العرب الذين اغتصب الاجنبي بلادهم ، وراح يسومهم الخسف والذل ، من حقهم ان يتطلعوا في محنتهم ، اليه ، ويعلقوا عليه آمالهم في الخلاص »

واصغى الملك الجليل المحنك ، الى الامير الفتى ، في اهتمام وسكينة ووقار ، وكان كلما افاض سيف في وصف النكبة ، نكبة اليمن بالاحباش ، ونكبته بخذلان امبراطور الروم له ، يرتفع في نفس الملك منزلة ، ويزداد نصيبه منه محبة وعطفاً . حتى اذا ما انتهى من كلامه ، طلب منه ان يهدّيء من فورة نفسه ، ويخلد الى شيء من السكون والراحة ، بعد عناء رحلته الطويلة الممضة ، وان يدع الامر بين يديه الى غد ، يفكر فيه ، ويلتمس له الوسيلة الى

صلاح العقبى وشرف المصير .

وراح الملك النعمان يفكر في سيف وفي اليمن ، واغلب الظن انه امعن في هذا التفكير ؛ وفي استعراض ما قصه عليه الامير الفارس ، من شؤون رحلته وشؤون موطنه ، فتجسمت له نفس سيف ، النفس العربية الرفيعة ، الشديدة المراس ، القوية الشكيمة ، الحرة النزعة ؛ واحسّ في نفسه صوتاً عميقاً ، مدوّياً في نفسه ، يدعوه الى نجدة بني قومه في اليمن ، فقرر ان ينجدهم . ونعتقد انه فكّر ، وهو الراجح العقل ، البعيد النظر ، الواسع الحيلة ، في ان من الخير ، ان تكون النجدة بواسطة الاعجام « الفرس » ، الذين يدين لهم بالولاء ، فلا ينكرون عليه هذه النجدة ، من جهة ؛ ويكون قد جعل منهم حليفاً لليمن على الاحباش من جهة اخرى ؛ وفي هذا من شد الأزر لليمانيين ، ورفع المعنويات في نفوسهم ما فيه ، مما يضمن الى حد بعيد ، تغلب سيف بمواطنيه ، على الاحباش المحتلين .

وانه في الواقع لتفكير يدل على الرغبة الصادقة عند النعمان ، في نصرة اليانيين ، تربطه بهم رابطة العروبة ، نصرةً عملية ، من جهة ، وعلى بعد نظره وشدة حنكته ، وسعة

حيلته ، من جهة اخرى ؛ فاستدعى اليه الامير سيف ، وافضى اليه بانه قرر ان ينجده ، وانه سيُشرك الفرس في نجدته له ، وانه سيأخذه في صحبته الى كسرى لهذا الغرض. فاغتبط سيف واطمأن .

واخذ النعمان يستوضح الامير الفتى ، عن وضع اليمن ، ومبلغ ما تستطيعه من حشد القوى للثورة على الاحباش ، وعما اذا كان من الممكن ان تكون القوة الرئيسية ، قوة عربية خالصة تستطيع ان تقبض على زمام الحركة ، فلا تكون نجدة الفرس لهم ، اكثر من « نجدة » ، نجدة ، ليس غير.

والمرجح عندنا ان الامير سيف ، بسط للملك المحنك حقيقة الواقع ، فاطلعه على ان الذين يحملون السلاح في اليمن ليسوا بالعدد الكثير ، لِما خسرته اليمن من رجال في القتال ، ولكثرة الذين اضطرتهم ظروف العيش الى المهاجرة ؛ ورغم ذلك ، فانه يعتقد انه يستطيع اعداد قوة ذات شأن ، للثورة، يكون الزمام في يدها في ساحات القتال ، وانه يعتبر ان النجدة ، على ما سيكون لها من اثر مادي فعال في القتال، شأنها الاول والاكبر في نظره ، يتجلى في ناحية اخرى ؛ انها سترفع من معنويات الثوار العرب ، وتلقي شيئاً من الهيبة لهم ، في

نفوس الاحباش ، فيتخاذلون ، وهو يستطيع التأكيد انه سينتصر عليهم ، ويخرجهم من بلاده ، منهزمين خاسرين .

واعجب النعمان ما بدا له من ثقة سيف بنفسه وبقومه ، واستصوب تعليله لماهية النجدة ، واستحسنه ، واطلعه على تقليد يعمل به في زياراته لكسرى ، وهو انه يفد عليه في احيان معينة ، فيحمل اليه بعض الهدايا . وطلب منه ان يمكث في ضيافته الى ان يحين موعد زيارته لكسرى ، فيرافقه في هذه الزيارة ، ولم يكن موعدها بعيداً ، فان ذلك ادعى الى تلبية الاعجام طلبه النجدة . واغتبط سيف بهذا التدبير ، وقرت به عينه ، وحمد للملك الجليل الحكيم عطفه عليه ، وعنايته به .

ومرت الايام ، ولكنها كانت في نظره بطيئة المرور ، حتى كأنما اليوم الواحد كان يستطيل ويتضخم ، فيغدو في نظره شهراً ، وكان في خلال ذلك ، كانما هو يأكل ناراً ، لما كان يتصوره من الوان العذاب والطغيان ، تنزل في بني قومه في اليمن ، فينطلق الى النعمان في لوعة وانتفاضة ، يخبره بالذي يتراءى له ، ويبثه ما في نفسه من ألم ، فيهدّيء النعمان من روعه ، ويطمئنه في رفق وعطف ،

ويفهمه ان الامور لا بد ان تجري في موعدها الزمني ، فيسكن الامير الفتى ، ويطمئن الى رأي الملك ، ويعزم على ان ينتظر في صبر ، موعد الزيارة ..

وكان في ذلك العهد ، نوع من انواع الرياضة لدى العرب ، هو المفضل عندهم ، وهو المقياس الأول لفروسية فرسانهم ؛ هو النزال في ساحة القتال ؛ فينزل فريق من الفرسان مقابل فريق آخر ، ويتنازلون ، كأنما هم يتقاتلون فعلاً ؛ وقد نستطيع ان نشبه هذا النوع من الرياضة ، بما يسمونه اليوم « مناورة » عند الجيوش الحديثة ، وكثيراً ما كان فرسان النعمان ، يلجأون الى هذه الرياضة ، وسيف يشهد النزال ويعجب بالفرسان ، فيثير ذلك في صدره ذكريات تزيد في حرقته من جهة ، وتبعث في نفسه شيئاً من التسلية من جهة اخرى ؛ واستأذن النعمان يوماً في مشاركة فرسانه هذا النوع من انواع الرياضة : هذه المناورة ، فاجابه الى ما يريد وشجعه عليه ، فاخذت الامير الفتى نشوة الفروسية ، وراح يشاطر فرسان النعمان رياضتهم « الحربية » في مواعيدها المعينة ، فيبدي من البراعة ما جعله قبلة انظار الفرسان جميعهم وموضع اعجابهم . وازداد ما كان قد

نشأ في نفس النعمان من حب له ، وعطف عليه ، وتقدير لمزاياه ، واطمأن قلبه وعقله ، الى ان ما يسعى في تدبيره من نجدة ، لهذا الامير الفارس الاصيل ، انما هو خليق به ، موفٍ على الغاية منه ، في مغامرته لتحرير قومه وبلده . وانشرح لذلك صدر الملك ، وطابت به نفسه . وكان الامير سيف في هذه الفترة ، يفيد من هذه « المناورات » ، كما كان يفيد من مجالسته للملك النعمان . وكان شعوره بجلالة قدر الملك وبالغ حكمته ، وعميق اخلاصه للعرب قومه ، سواء في اليمن وفي العراق ، يقوى يوماً بعد يوم ويعمق . ورأى نفسه منجذبا الى الاقتباس منه ، والاقتداء به ، فاكسبه ذلك غير قليل من النضج ، وافاض على شبابه ، من مظاهر الرصانة والوقار .

الوفادة على كسرى

درج الملك النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة في امبراطورية الاعجام « الفرس » ، على زيارة « كسرى » مرة في العام ؛ وجاء موعد الزيارة في هذا العام[1] ، — وكان سيف

(١) نرجح ان هذا العام ، هو عام ٥٦٨ او ٥٦٩ م. على الاكثر

ينتظره ، كأنما هو على نار - فركب النعمان في موكب جليل ، يرافقه سيف ، يقوم بهذه الزيارة ، وقد حمل معه الى كسرى من الهدايا النادرة البديعـــة ، الرفيعة الثمن ، اكثر مما اعتاد ان يحمله من قبل ؛ حتى ان كسرى دهش ، ولكن في غبطة وانشراح ظاهرين ؛ وبالـــغ في اكرام النعمان والترحيب به ، والتوسيع في الصدر له . وكان النعمان رجلا عاقـــلًا حكيما ، يزن الامور بميزان العاقل الحكيم ، ويقطع بها ببصيرة الخبير المحنك المطمئن ، فكان في خلال الرحلة الى كسرى ، يحدث سيف حديث كسرى ، ويكشف له عن طباعه واخلاقـه ومزاياه ، ويرسم له السبيل الى قلبه ، والحظوة لديه . وبعد ان قدّم النعمان الى كسرى ضيفه الكريم ، سيفَ بن ذي يزن ، واطمأن بالوفد المقام ، خلا كسرى بالنعمان وسيف ، وبدأ حديث الاستنجاد بفارس ؛ وكان في ما قاله الامـير سيف لكسرى ، وهو يطلب نجدته ، ان اليمن يسعدها - بعد ان تطرد الاحباش - ان يختار لها امبراطور فارس ، من يشاء ، ليستوي ملكا عليها . ولكن الشيء الذي لم يقله سيف واحتفظ بـه في نفسه ، سنعرفه من تتالي الحوادث ، تمر بنا في مـــا بعد .

لم يكن سيف ليطمع في ان يوسل كسرى جيوشه ، او قسما كبيراً منها، او صغيراً الى اليمن؛ ولعله لم يكن يرغب في ذلك مخافة ان تطغي هذه الجيوش على اليمن ، بعد طرد الاحباش ويأخذها دوار الغرور ، فتنسب الى نفسها وحدها تحقيق النصر على الاحباش ، ويدور في خلدها ان من حقها ان تحل محل الاحباش في احتلال اليمن ، وتكون النتيجة ان اليمن استبدلت باستعمار الاحباش ، استعمار الفرس !

كلا ، لم يكن هذا ما يرمي اليه الامير الشاب الثائر ، وهو حين تحدث الى كسرى ، ووصف له طغيان الاحباش تعمّد ان يجسم نقمة اليمانيين من الاحباش ، عدوانهم على اليمن ، وطغيانهم ؛ وغضب اليمانيين وسخطهم عليهم ؛ لانهم ، اي اليمانيين ، يأبون العبودية والذل ، وحرص سيف ان يدرك كسرى هذا كله ، وان نجدة قليلة من لدنه ، تكفي لمضاعفة عزيمة اليمانيين فيتغلبون على المحتلين ؛ ثم هم يحفظون لكسرى ، هذه اليد البيضاء ، قد يكون من ورائها شيء يسير من العناء ، ولكنها تكون باعثاً لليمن على وضع مقاليد ملكها ، بين يدي الرجل الذي يختاره كسرى لهذا الملك .

على ان كسرى قرأ في وجه سيف ما وراء هـــذه الكلمات من غرض ! ففكر لحظة وقال له :

« بعُدت بلادك عن بلادنا ، وهي قليلة الخير . إنما هي شاء وبعير . ولا حاجة لنا بذلك .. »

ليست اليمن ، في نظر كسرى ، بلاداً تستحق النجدة لأنها فقيرة ، على رأيه، ليس فيها ما يثير الاطماع ...

ووُقع في يد الامير سيف . وخشي ان يذهب استنجاده بكسرى ، هباءً .

وقام كسرى اليه فكساه كسوة ملوكية وأجـــازه بمال كثير .

وكبر على الأمير العربي ان يستبدل بامر حقير ، امراً عظيماً..فقام الى الناس ينثر الدنانير فوق رؤوسهم،وتحت مواطىء اقدامهم ، ويقول : جبال بلادي ذهب وفضة ، وانما أتيتك مستنجداً لتحرير موطني ، لا طالب مال ..

كسرى يفكر ويستشير

كان لحركة الامير سيف وكلماته ، فعل المنبه القوي ، ان لم نقل فعل السحر ، في نفس كسرى ؛ وهو ان

يكن قد رأى فيها كثيراً من الترفع والكبر ، مما قد يكون بعث في صدره شيئاً من الغيظ او الاستياء ، الا انه شعر بانها حركة وكلمات صادقة ، تدل على ان قائلها رجل كريم وكبير ، يحسن ان لا يُضيع مثله ، وانه خليق به ان يتدبر الامر ، لعله يرى له مخرجاً يُرضي هذا الرجل ، وينتفع هو به .

وجمع كسرى كبار حاشيته ومستشاريه ، والقى اليهم بخبر الامير العربيّ ، وما يطلبه من عون .

فأشار أحدهم على كسرى ان يطلق سراح السجناء ويرسلهم الى اليمن . فان ماتوا فقد قضى الملك وطره منهم ، وان سلموا وطردوا الاحباش ، جاء مُلك اليمن الى كسرى بغير ثمن .

وأعجب كسرى بهذا الرأي ، وطلب الامير سيف وابلغه عزمه على إنجاده .

ولاول مرة ، بعد رحلة استغرقت آلاف الاميال ، وعشرات الشهور ، أحس الامير الفتى بشعور ، مزيج من الغبطة والاطمئنان ، وعقد على تحرير بلاده آمالاً لا تستوي إلا لامثاله من الشجعان الاباة ، ذوي الاقدام .

وفتحت ابواب السجون .

فخرج منها ثمانمئة سجين لا غير !

وحسبك ان تعلم ان هذا العدد قد تأكله موقعة واحدة مع الاحباش ، لتشك في رضا سيف به !

ان الامير لم يكن جاداً حين عرض على كسرى ان يكون ملك اليمن ، بين يديه مقاليده ، ولكنها حنكة دفعته الى ذلك ، يُغري كسرى ، لعله يسرع في نجدته بشيء من الاندفاع .

ولم تكن النجدة التي ينشدها سيف هنا وهناك ، مرتكز النضال عنده ، في تحرير بـــلاده ؛ فالمرتكز الاصيل هو العرب ، ولكنه كان يرى في النجدة ، تأتي من خارج بلاده ، عاملا قويا في النصر ، لما يُعلّق على مثل هذه النجدات عادة من آمال عند الثوار ، وتبعثه في نفوسهم من قوى معنوية تضاعف في نفوسهم من القدرة على الصبر ، وشدة الاحتمال .

القائد وهرز

عقد كسرى اللواء لقائد له يدعى وهرز على الفرقـــة المؤلفة من ٨٠٠ مقاتل من السجناء .

وكان وهرز هذا ، طاعنا في السن ، ولكنه شجاع . وكان ضخما ، طويل شعر الحاجبين ، له هيبـــة . وعليه مسحة من وقار .

أمر وهرز جنوده بركوب البحر ، وكان ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية .

وعبأ جنوده كلهم في ثماني سفن ، في كل سفينـة مائة رجل .

وأراد «وهرز» ان يختبر الامير الشاب ، هذا الذي يشمخ انفه بكبرياء الانفة ، وتتوهج المروءة في عينيه السوداوين ، توهّج الشعلة ؛ فسأله ما عندك ايها الامير في هذا الامر الجلل؟ فاجاب سيف ، وعلى قسمات وجهه كله ، انطلاقة حلم مكبوت: « ما شئت من رجل عربي وسيف عربي ! »

ثم أضاف ، ليُشبع سؤال «وهرز» جواباً : « ثم أجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً او نظفر . »

فانفرجت اسارير وهرز عن أمل ؛ ولعله كان يائساً من انتصار حملته الضئيلة ، فجدد عزم الامير الشاب عزمه وقواه ، ولمعت امام عينيه بارقة نصر ، او بارقة امل بنصر.

كانت نفس الامير سيف تتمثل هول المعارك وشدتها ، وهو بين حديدها ونجيعها ، فيخفق قلبه ببطولة ليس يدركها وهن ، ولا يدانيها خوف . كان يعرف ان قهر الاحباش ليس بالأمر اليسير ، ولا بد له من ان يخوض اليه انهاراً من دماء ، حتى يتحقق له النصر ، او يموت دونه .

وكان البحر في الشتاء ، صاخباً جياشاً يُلقي الرعب في النفوس . كأنما هو نفس تعي ، او إلـه يضع احبولة التجارب في دروب الامير الشاب ليختبره ويزن رجولته .

وغرقت سفينتان بمن فيهما . اي غرق مائتا رجل من الثمانماية ، عدة النجدة كلها ! فنزل في نفس الامير شيء من الغيظ ، واقسم ليثأرن من الاحباش ، ولو غرقت سفنه كلها ، بمن فيها كلهم .

والتفت الامير سيف الى القائد وهرز ليقرأ على وجهه ما تركته هذه النكبة فيه ، فالفاه كعهده اول الامر ، مطمئنا ثابت الجنان ، فاستبشر خيراً ، وانطلق مع امله يصوغ ، ما شاء له خياله ، من صور للنصر الاخضر ، في أطر حمر ، لون الارجوان .

على شواطيء حضرموت

ان هذه الحملة الصغيرة ، التي أصبح قوامها الآن ستمائة رجل لم يكن لها بذاتها ، في نظر الامير سيف ، تلك القيمة الكبيرة في مقاتلة الاحباش الذين سيهبون الى قتاله بالالوف . فكان عليه ان يتصل بقومه ، قبل ان يعرّض هذه النجدة ، لحملة الاحباش مجتمعين ، فان في هذا ، مما قد يهددها بالفناء ! فارتأى ان ينزل مع النجدة على شواطيء حضرموت ؛ فيتصل بقومه ويبعث فيهم صرخة الجهاد ، ويريهم ما جاءهم به من نجدة ، ويعد العدة لقتال الاحباش المحتلين .

واقتربت السفن من الشاطيء العربي لتقذف من جوفها عصبة من الرجال ، وضعوا مصائرهم بين يــدي الامير العربي ، الثائر .

احراق السفن

لعل من واجب الذين يعرفون قضية احراق السفن التي اقلت الجيش العربي من شواطيء افريقيـة العربية الشمالية الى الشاطيء الاوروبي في اسبانية ، والتي امر باحراقها بعد

ان وطئت اقدام الجيش الفاتح ، ارض اسبانية ، قائدُ الجيش البطل العربي الشهير، طارق بن زياد ، في خبر طويل، روته كتب التاريخ ، من عربية وغير عربية ؛ لعل من واجب هؤلاء ، نقول ، ان يباركوا سيف بن ذي يزن ، وان يمنحوه قسطاً كبيراً جداً من الاعجاب الذي يتمتع به في نفوسهم ، القائد البطل طارق بن زياد ؛ فان هذه السُنّة الرائعة ، كان الامير سيف الثائر العربي الذي خصصت به « دار الحكمة » هذه الحلقة بكاملها ، من سلسلة كتب « الثائرون في التاريخ » ، تُعنى باصدارها ، كشفاً عن ناحية من نواحي التراث العربي الضخم ، وبعثاً لهذه الروح العربية الاصيلة التي تستطيع - اذا هي بُعثت على حقيقتها - ان تخلق من جديد ناساً في العرب، يستطيعون ان ينقذوا هذه الامة من ضلالتها ، وان يوجهوها وجهة الحق والحرية والقوة الخيّرة ، ووجهة الوحدة في حياة عزيزة خصبة كريمة نيّرة ؛ ان هذه السُنّة الرائعة ، نقول ، كان الامير سيف اول من سنّها . فما ان غادر رجال الحملة ، السفن التي اقلتهم الى شواطيء حضرموت ، ووطئت اقدامهم الارض العربية ، حتى التمع في ذهن سيف ، الامـــير العبقري

البطل ، خاطر احراق هذه السفن ، فلا تكون في ذهن احد من رجال النجدة ، وسيلة الى الفرار ، اذا ما ادلهم الخطب وتفوق الاحباش في القتال . وافضى سيف برأيه هذا ، الى صاحبه وهرز ، زعيم النجدة ، فعمل هذا ، من دون اي تردد برأي سيف ، وأحرقت السفن . ولعله فعل ، تدليلاً على شجاعته ، وتصميمه هو الآخر ، تصميماً قاطعاً على القتال الى جانب الامير العربي ، حتى النصر ، او الموت .

فازداد ايمان سيف بشجاعة وهرز واخلاصه ، واطمأنت نفسه الى انه منتصر لا محالة .

وبدأ زحف النجدة يقودها سيف ، وطارت البشائر ، تسبق الزحف ، يزفها العرب بعضهم الى البعض الآخر : جاء الامير سيف ! جاء ومعه نجدة غريبـــة ، عظيمة ، يقاتل الاحباش ويطردهم من بلاده ، بلادنا ، جميعاً ؛ نحن اهل اليمن واسيادها الاصلاء .

لعينيك يا ابن ذي يزن . الى الثأر أيها العرب . ولسنا نستغرب ان يكون هذا بالفعل هو الذي وقع ، فان نفسية العربي التي يغلب عليها المزاج الحماسي الحاد ، والاريحية التي يهزها في صدره حميد الفعال ، والعزة المجروحة تضطرب في

صميمها الرغبة في الثأر ، هذا كله اذا انت اعتنقته في وعي، يستفز العربي ، ويبعث في نفسه حب الانطلاق الى كسب المحامد ، ويؤجج في صدره نار الشجاعة الخامدة «١» والاقدام على العظائم في سبيل الذود عن الذمار «٢» .

وبديهي ان مثل هذه الصرخات يطلقها رجال القبائل ، فتتجاوب بها سهول اليمن وجبالها ، لا بد ان تثير النفوس وتهز الاريحية وتؤجج نار الشجاعة ، والاقدام على العظائم ، فتهب قبائل العرب ، تتسابق الى الانضواء تحت راية الجهاد يرفعها عالياً ابن ذي يزن ، سيف ، الامير الصلب الشجاع.

وكان سيف ، الامير الشاب ، والوطني المتحمس الشجاع قرر في نفسه احد امرين لا ثالث لهما . ولا مناص قطعاً من تحقيق احدهما . وهما : اما ان يطهّر اليمن من الاجانب فتظل بلاداً عربية ، يحكمها اهلها العرب وحدهم ، يتصرفون بشؤونها ويتحكمون في مصائرها ؛ احراراً اعزة كراماً ، واما ان يُفني الاحباشُ اهل اليمن ، وتصبح اليمن بلاداً حبشية ، يستوطنها الاحباش ويحكمها الاحباش .

(١) النار الخامدة هي النار التي سكن لهبها ولم يطفأ جرها .

(٢) الذمار : كل ما يترتب عليك ان تحميه وتدفع عنه وتصونه : الحرم. الاهل . الحوزة ، اي ارض الوطن .

ففي تلك الايام لم يكن العرب يستسيغون غير هذا الطراز من العيش ، في مثل هذه الحال . هذا المكان ، او هذا البلد ، اما ان يكون لك ، واما ان يكون لي .

لا مجال للتفكير في حل وسط ، كما يقولون اليوم ، او حلول ترضي الفريقين ، العرب والاحباش معاً ؛ على لغة جماعة السياسيين في العصر الحاضر ، وفي مقدمتهم معظم حكام العرب اليوم وزعمائهم . وكان شعار المجاهدين بالسيف ، واضحاً صارماً : « لا مكان لجبان تحت راية الجهاد ، او لمرتزق ، او منافق » .

ثورة شعبية

كانت عشيرة السكاسك ، وهي بطن من كندة ، القبيلة العربية اليمنية العظيمة ، اول من استجاب لداعي الجهاد الوطني ، فاندفع شبانها ، رجّالة وفرسانا ، يلتفون حول زعيم الثورة مُقسمين انهم يموتون ولا يرجعون بالخذلان والذل . والسكاسك هؤلاء يمتازون عن غيرهم ، من احياء العرب التي تكاد تتساوى في الشجاعة ، بالعناد في القتال .

واخذت بقيةَ القبائل ، قبيلةً بعد قبيلة ، العزةُ بالحق

والنخوة للوطن ، فاخذوا يلتحقون بالثوار ، جماعات وافراداً ؛ حتى لنستطيع التأكيد انه ليس في ما عرفنا من ثورات ، ثورة ، يصح ان يُقال فيها بحق ، انها ثورة شعبية كاملة ، مثل ثورة اليمانيين على الاحباش .

موت ابرهة

توفي ابرهة الاشرم ، بعد وقت قصير من غارته على البيت العتيق ، ورجوعه عنه مدحوراً . فنودي بابنه « يكسوم » خليفة له ؛ وهذا الاخير ما لبث ان توفي هو الآخر ، فقام من بعده على ملك اليمن ، اخوه «مسروق»

ولما وصلت انباء الامير سيف ، يزحف على رأس فرق الثوار المجاهدين لمقاتلة الاحباش ، حزم مسروق امره على تعبئة الجند ، فاجتمع اليه مئة الف مقاتل(١) ، وساق امام المقاتلين عدداً كبيراً من الفيلة ، كانت تُستخدم في الحروب كما تُستخدم الدبابات اليوم ، ومشى لملاقاة سيف في موكب عظيم .

---

(١) قد يكون في هذا العدد شيء من المبالغة ، ولكنه على كل حال يمكن ان يستدل به ، على ان عدد الذين ساقهم « مسروق » الى قتال الثوار كان ضخما ...

ونحن نقف هنا قليلاً لنقرر ، ان مثل هـذا الجيش لا يمكن ان يرى « مسروق » الحبشي اية حاجة الى سوقه لو لم يكن من الثابت لديه ، ان عـدد الثوار العرب ، ـ وان يكن غير ضخم بالنظر لما يعرفه من كثرة الذين قتلوا من اليمانيين في ساحات القتـال ، والذين هجروا اليمن ، لاسباب معاشية ـ فهو عدد غير قليل ؛ فالنجدة الفارسية وهي لا تتجاوز الستمائة مقاتل ، ليست من الناحية العددية شيئاً مذكوراً ، وما تحتاج الى مثل هذا العناء .

على ان التاريخ ـ فيما وقع لنا منـه ـ لا يُشير من قريب او بعيد ، الى عدد الثائرين العرب الذين لبّوا صرخة الثورة ، وقادهم سيف الى التحرير ؛ ويصعب علينا كثيراً ان نحدد هذا العدد ، الا ان نقدره تقديراً ، وبمقيـاس العدد الضخم الذي جنده « مسروق » ، فيرجح ان يكون عندئذ ، ما بين العشرين والثلاثين الف مقاتل ، وهو تقدير كما قلنا ، وليس تحديداً .

وواضح من هذا ان النجـدة العجمية « الفارسية » لن تكون ذات اثر حسي كبير في تقرير النصر . فستمائة مقاتل يُضافون الى الوف المقاتلين ، وهم ان تساووا معهم شجاعة ،

فليسوا اشجع منهم ، وينقصهم الايمان والرغبة في الثأر والتحرر ، المتوفران للثوار العرب ، يقاتلون من اجل حي عربي وشعب عربي ، ليسوا - كما قدمنا - شيئاً مذكوراً، ولكن فكرة النجدة من الناحيتين المعنوية والسياسية ، هي الامر الخطير الذي ينبغي ان يشير اليه التاريخ في كثير من التقدير لسيف ، وفكره العبقري .

ان سيرة سيف الشعبية تحدثنا عن معارك طاحنة كثيرة وقعت بين العرب والاحباش ، لعبت فيها البطولة العربية دوراً رائعاً .

ولكنه لا يصح ، في رأينا ، الرجوع الى السيرة كمصدر تاريخي ثقة ، كما قلنا سابقاً .

انه لمن المؤكد ان العرب ، وعلى راسهم الامير سيف في اليمن ، قد جاهدوا لتحرير اليمن من سلطة الاحباش ، جهاداً رائعاً جداً ، يحق للامة العربية ، ان تفخر به على الزمن(١) . وهذا امر نستطيع التثبت منه ، بالاستناد الى

(١) ما اكثر ما في التاريخ العربي ، قبل الاسلام ، وبعده ، خاصة ، من مواضع للفخر ، ولكن الذي يليق بالعرب الان ، ان يصنعوا من جديد ، تاريخاً يحق للعرب ان يفخروا به ... وان لا يذكروا مفاخر الماضي ، الا للاعتبار ، ولوصل تلك المفاخر ، بمفاخر ، تصبح كذلك ، عند الاجيال الاتية..

مصادر لا ينقصها الطابع العلمي ، فلسنا في حاجـــة الى الاعتماد على سيرة سيف الشعبية ، التي ينقصها هذا الطابع ، وان نحن عرضنا للسيرة الشعبية هذه ، في النادر ، في سياق التأريخ لثورة اليمن - يقودها الامير سيف - على الاحباش، فانما نفعل لما قد يكون من الطرافة في سرد السيرة ، ولا يتنافى مع منطق الحوادث ، ومع ما هو من المعقول ان يقع ، وان لم يكن قد وقع حقاً وفعـــلاً ، كما ترويه السيرة تماماً .

لقد كانت فظائع الاحباش ، قبل ثورة سيف ، وفي خلالها ، « نموذجاً » في التفظيع ، قد يكون المغتصبون المستعمرون في عصرنا هذا ، في المغرب العربي ، مثلاً ، وفي غيره من ارجاء الدنيا ، وبعد اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، متأثرين به لا شعوريا ، وسيحل بهؤلاء حتما ما حل بالاحباش من قبل ، وما حل بغير الاحباش ، بعد ذلك، من انكليز وهولانديين وفرنسيين وايطاليين ، وغيرهم ، في مختلف بقاع الارض .. وقد قال - اشارة ، الى هـــذه الفظائع - احد الشعراء العرب :

هونك ليس يرد الدمعُ ما فاتا   لا تهلكي اسفا في ذكر من ماتا

ابعد « بينون » لا عين ولا اثر ... وبعد سلحين يبني الناس ابياتا «١»

المعركة الاولى

من المؤسف حقاً اننا لم نوُفَّق الى الوقوع – في كل ما تيسَّر لنا من مصادر – على ما ينير لنا السبيل لتحديد زمن المعركة الاولى ومكانها بين الامير سيف والاحباش ، تحديداً نرضى عنه ، وتطمئن نفسنا الى انه تحديد صائب ، او قريب من الصواب . وكل ما نستطيع ان نقوله ونجزم به هو ان النصر النهائي على الاحباش كان في سنة ٥٧٠م. ففي هذه السنة بالذات ، وقد يكون في اواخرها ، كانت اليمن قد حطمت النير الحبشي ، وتحررت الى الابد ، من سلطان الاحباش الذين عاثوا فيها فساداً وتخريباً طوال سبع واربعين سنة «٢» .

---

(١) المقتبس ج ٧ ص ٣٥ في مقال بعنوان « اليمن وسكانها » وبينون وسلحين وغمدان قصور ضخمة دمرها الاحباش ، كما دمروا غيرها كثيراً من آيات العمران ...

(٢) دخل الاحباش اليمن بعد المذبحة التي دبرها « ذو نواس » لنصارى نجران سنة ٥٢٣ م وحكاية ذلك ان « ذو نواس » ملك اليمن في ذلك العهد ، وكان قد اعتنق اليهودية ، كان يضيق صدراً بالنصرانية السمحاء فعمل على افناء النصارى بطريقة جد فظيعة سنة ٥٢٣ م ، وقد زحف الاحباش بامر امبراطور بيزنطية على اليمن للانتقام للنصارى ، فقتلوا اهلها جميعاً واستعمروهم .

لقد تقرر لدينا ـ كما مر بك ـ ان الامير سيف ومعه النجدة الفارسية ، نزلوا على الشاطىء الحضرمي من البحر العربي ، ومن هناك اطلق سيف ، صرخة الثورة ، ودعا مواطنيه الى الجهاد ضد الاحباش المحتلين ، فلباه العرب ، وفي مقدمتهم قبيلة السكاسك المشهورة بالشجاعة ، والعناد في القتال . وما ان ترددت اصداء زمجرة الثورة في مخاليف اليمن ، حتى هب « مسروق » يعبيء الجند ويستعد لملاقاة سيف .

وقد زحف فعلاً بقوة كبيرة ، الى ملاقاته في الطريق ، وهو على مثل اليقين بالانتصار عليه ، والبطش به وبمن معه من ثوار ، ومن نجدة ، ذلك لكي لا يدع لهم فرصة للاقتراب من العاصمة ، وما يليها من مدن قريبة واخرى غير بعيدة .

ويغلب على الظن ان القوتين ، قوة الحق الثائرة من اجل الحرية ، وقوة الباطل الناقمة من اجل استمرار الاستعباد ، كان اول لقاء بينهما في اراضي انصاب او وادي اهوار ، حيث توهم الاحباش انهم يستطيعون القضاء على العرب في ذلك الوادي !

وما ان تقابل الجمعان ، حتى انقض سيف بقواته على

الاحباش انقضاضاً صاعقاً ، ضعضع هؤلاء لحظة ثم ما لبثوا ان استعادوا رباطة جأشهم ، وصمدوا للثوار صموداً محموداً. ولكن الامير سيف ، اثار نخوته وغضبه هذا الصمود ، فصاح برجاله من الثوار يستفزهم ، وشدّ على الاحباش ومن ورائه جموع العرب البواسل يقطّعون خراطم الفيلة التي ولت الادبار منهزمة ، فتضعضع الجيش الحبشي ، وعمل فيه العرب تقتيلاً ، وتنكيلاً ، فعمد الى الانهزام .

وتتالت المعارك بعد ذلك فكان سيف يتنقل من نصر الى نصر ، وما ان يجني النصر في معركة – وكان يجنيه في كل معركة – حتى يزداد عدد الثوار ، وهكذا لم يمض وقت طويل ، حتى استطاع الثوار العرب ، ان يدفعوا بالاحباش الى الشواطىء اليمنية على البحر الاحمر ، بعد ان افنوا منهم عدداً كبيراً ، وبعد ان فر منهم الى الحبشة عدد غير قليل.

ويجدر بنا ، هنا ، ان نسأل : لماذا لم يستقدم «مسروق» نجدات من الحبشة ؟ ام انه استقدم هذه النجدات ، ولكنها لم تغير من سير المعارك شيئاً .

ان هذا السؤال قد يرد على خاطر القاريء . وعلينا نحن ، ان نلقي ضوءاً ، على ما اهمل التاريخ ، في هذه

الناحية .

كانت اليمن بعد سيطرة الاحباش عليها تخضع للحبشة بشخص المالك عليها : ابرهة الأشرم ، وابنيه من بعـده ، يكوم ومسروق .

وكان الاتصال بين الحبشة واليمن اتصالاً وثيقاً : اي اتصال مستعمِر بمُستعمَر . وكانت خيرات اليمن تنقل الى الحبشة . وان هذا يقتضينا الاعتقاد بان نجدات كثيرة طلبها « مسروق » من الحبشة وارسلت الى اليمن للقضاء على ثورة الأمير سيف . ولكنها كانت تتضاءل وتنكمش ثم تنهار، امام القوة العربية الثائرة ، تدفع عن ارضها وعن عرضها، وليس للاحباش في اليمن ما يدفعون عنه سوى نفوسهم ، فيحاولون النجاة بهذه النفوس .

وحينما حصرهم سيف على شاطيء البحر الاحمر ، كأن يكون ذلك عند تعز او الحديدة او زبيدة او زيدية او بيت الفقيه ، اخذ من نجا منهم من القتل يفرّ الى الحبشة ، وقد فر منهم كل من استطاع الى الفرار سبيلاً ، قد تم اجلاؤهم عن اليمن بكاملها سنة ٥٧٠ ميلادية «١»

(١) دائرة المعارف الاسلامية . Encyclopedia of Islam

الملك سيف

تحررت اليمن من النير الحبشي . فعمت الفرحة جزيرة العرب كلها ، من اقصاها الى اقصاها . وبدأت وفود المهنئين تفد على اليمن لتهنئة الملك سيف الذي ارتضته اليمن المتحررة ملكا عليها ، جزاء بلائه المجيد في تحرير الوطن ، وتقديراً لعبقريته واخلاصه ، وذاعت شهرة الملك سيف في بلاد العرب ، وغير بلاد العرب ، وتناقلت الركبان احاديث فروسيته وشجاعته وتضحياته في سبيل وطنـــه ، وراح القصاصون يصوغون منها حكايات عاشت مع التاريخ وبولغ فيها حتى غدت كالاساطير .

وهكذا كانت حياة الملك سيف المشرفة إرهاصات تعمل في حركة سريعة وقوية ، لتخلق الوف (الأسياف)«١» من بعد .

زواج الملك سيف

بعد أن تم جلاء الاحباش عن ارض العرب ، ونعمت اليمن بالحرية والعزة ، وشيء من الاستقرار ، أعلن الملك سيف نبأ زواجه من شمَا ..

(١) غير سيوف الاسلام في اليمن اليوم طبعاً .

شمًا .. ان التاريخ لا يحدثنا عن هذه الفتاة ذات الحظوة باي حديث .. أكانت شمًا اميرة من انسباء سيف ؟ ام كانت احـدى بنات القبائل الثائرة ؟ اسدت الى الثورة يداً فاسترعت انتباه سيف ، ومرقت الى قلبه في احدى معارك التحرير ، ففضلها على فتيات اليمن واصطفاها له قرينة ؟! لا ندري . والتاريخ ايضاً لا يدري على التحقيق . ويبدو لنا ان سيف كان قد نذر على نفسه ألا يتزوج قبل ان يجلو الاجنبي عن وطنه . وقليل في الناس مثل هذا .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية *Encyclopidia of Eslam* حول زواج سيف « ان الأحباش جربوا كثيراً الحؤول دون زواج سيف من شما » .

ويظهر من هذا بوضوح ، ان الامير سيف كان قد احب هذه الفتاة ، قبل اعلان الثورة . وقبل خروجـه الى الروم والفرس . ويبـدو ان شما بادلته الحب وعاهدته على الاخلاص له ، حتى اذا جـلا الاحباش عن اليمن ، تزوجا ،

ويذهب بنا الظن الى ان الفتاة ، شما هذه ، كانت تحمل بين جنبيها روحاً وطنية عالية ، وانها كانت على مستوى

عال من الذكاء ومن الجمال ، ومن المنزلة .
فان التدخل الحبشي بأمر هذا الزواج ومحاولة منعه ، يدعونا الى الاعتقاد أن شمًا ، كانت ابنة احد امراء القبائل القوية ؛ فاعتقد الاحباش ان الزواج بين سيف وشمًا ، يؤدي الى استقواء سيف بما تحتمه هذه المصاهرة من التعاون الوثيق بين اتباع الامير سيف وبين قبيلة والد شما ، الامر الذي يخافه الحاكم الغاصب او الظالم ، ويتقيه ، فهو اي هذا الحاكم ، لا يحكم الا في ظل التفرقة والتجزئة والخلاف ..

وقد تم هذا الزواج رغم ارادة المستعمر ، وبعد ان جلاه سيف بالقوة ، وربما بمشاركة شما ، عن ارض وطنه الحبيب .

وفد قريش

إن ابرز صورة للفرحة العامة بطرد الاجنبي من بلاد العرب ، تتجلى في الوفود التي جاءت تحيي في الملك سيف ، بطولة الجهاد وعزة القومية .

وابرز هذه الوفود ، وفد قريش الذي جاء من مكة ، يقدم تهانيه الى الرجل العربي الكبير .

وكان ابرز الرجال الذين تألف الوفد منهم : عبدالمطلب

بن هاشم ، جد النبي ، وامية بن عبد شمس ، واسد بن عبد العزى ، وعبدالله بن جدعان(١) . وكان الملك سيف يستقبل الوفود في قصر له يُسمى غمدان .

واليك ما ورد بهذا الشأن في العقد الفريد :

« فطلبوا الاذن عليه فأذن لهم . فدخلوا فوجدوه متضمخاً بالعنبر ، يلصق وبيص المسك في مفرق رأسه ، وعليه بُردان أخضران ، قد اتَّزر باحدهما وارتدى بالآخر . وسيفه بين يديه . والملوك عن يمينه وشماله ، وابناء الملوك .

فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام . فقال له : قل . فقال : ان الله تعالى ، ايها الملك ، أحلَّك محلا رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً شامخاً . وانبتك منبتاً طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، ونبل أصله ، وبعد فرعه ؛ في اكرم معدن ، واطيب موطن ، فانت ، أبيتَ اللعن ، رأس العرب ، وربيعها الذي به تخصب ، وملكها الذي به تنقاد . » الى ان قال : « نحن ، ايها الملك ، أهل حرم الله وذمته ، وسدنة بيته ، أشخصنا اليك ، الذي ابهجك لكشف الكرب الذي فدحنا . فنحن وفد التهنئة . قال : من انت ايها المتكلم . قال : أنا عبد المطلب بن هاشم .

(١) العقد الفريد . ج١ ص ١٧٥ وما يليها .

قال : ابن اختنا . قال : نعم . فأدناه وقربه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال : مرحبا واهلا . » « ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود ، وأجرى عليهم الانزال . »

ويقول ابو الصلت ، والد أمية بن ابي الصلت الشاعر المشهور ، في الملك سيف :

لم يدرك الثأر امثـال بن ذي يزن
لجج في البحر للاعـداء احوالا
أتى هرقل وقـد شالت نعامتـه
فلم يجد عنـده القول الذي قـالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعـة
من السنين ، لقد ابعـدت ايغـالا
حتى اتى ببني الاحرار يقـدمهم
انك عمري لقد اسرعت ارقـالا

الى ان يقول :

أرسلت اسداً على سود الكلاب فقد
غـادرت اوجههم في الأرض أفلالا
اشرب هنيئـاً عليك التاج مرتفعـا
في رأس غمـدان داراً منك محلالا

ثم أطل بالمسك اذ شالت نعـــامتهم
واسبل اليــوم في برديك اسبـــالا
تلك المكارم لا قعبـــان من لبن
شيبا بـــاء فعـــادا بعد ابوالا

صنعاء عاصمة الملك

جعل الملك سيف مقر حكمه في صنعاء ، وفيها -يومذاك- قصور من اضخم قصور الدنيا واروعها بناء .

وكانت صنعاء كبرى مدن اليمن ، فيها صناعة وفيها تجارة لم تصل اليها بلد في العالم في ذلك التاريخ .

وحسبك ان تعود الى قول سيف لكسرى : « جبال بلادي ذهب وفضة » حتى تعلم مبلغ ما وصلت اليه المدنية في عصر ابن ذي يزن .

ولعل بناء صنعاء - في مكانها ذاك - من جملة الادلة على حسن التخير عند العرب لمواقع المناعة ، من جهة ، ومن جهة اخرى لمواطن الجمال ، فهي منيعة بجبالها ، جميلة رائعة بما يحف بها من مناظر خلابة ومن انهار وزهر واشجار . وقد قال تبع يصف صنعاء :

إن قحطان اذ بناها ، بناها بين برية وبين بحار
نطقت بالكروم والنخل والزرع واصناف طيب الاشجار
وتسيح العيون فيها فما يسمع إلا تسلسل الانهار
ليس يؤذيهم فيها وهج الحر ولا القر في زمان افترار
طاب فيها النبات والماء والنوم ، وليل مطيّب كالنهار
ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

هذه الصورة الرائعة لصنعاء ، تدرك معها أية مدينة كانت صنعاء ، وفي ذلك الزمن البعيد ، وتدرك اي عقل مبدع العقل العربي ، واي ذوق رفيع يبدو الذوق العربي ، حينما يعيش هذا العربي في ظلال الحرية ، وتتوفر له الوسائل الصالحة للانشاء والابداع ، في نطاق الاطمئنان الى ما يعتبره عدلا وأمنا وعزة وحسن حال ..

قصور اليمن

القصور التي كانت في اليمن كثيرة . وقد ظل ذكرها في فم التاريخ الى ما بعد الدعوة الاسلامية بقرون ... وكان العرب يذكرونها بكثير من الأسف والحسرة ، لأن الأحباش خربوا معظمها ، ودكوا من اسسها ما استطاعو

الى ذلك من سبيل .

ومن اشهر القصور ، التي يصح ان يطلق عليها اسم قلاع ، لضخامتها : غمدان ، ناعط ، يعرق ، ذي لعوة ، ريدة ، سلحين ، شحرار ، بينون ... وغيرها«١» .

وقد وصف الهمذاني بعض هذه القصور ، فقال إنهـــا تنطق بالدر والجوهر«٢» . واوجهها الأربعة ـ اي جدرانها الخارجية الأربعة ـ تختلف في اللون . واحد بحجارة بيض وآخر بحجارة سود ، وثالث بحجـــارة خضر ، ورابع بحجارة حمر .

ناطحات السحاب

واليك ما بقي في التاريخ من وصف لقصر بينون العظيم؛ فقد كان مبنياً من عشرين سقفاً ـ او طابقاً كما نقول اليوم ـ وبين السقف والسقف عشرة اذرع . اي كان ارتفاعه مئتي ذراع . وغرفه العليا واسعة حتى كأنها الميدان الفسيح ، في كل زاوية تمثال أسد من نحـــاس ، مجوف ، ضخم ،

(١) هي قصور تشبه ما يسمونه عند الفرنجة : « chateau fort »
(٢) الاكليل . للهمذاني .

تدخل الريح فيه ، ولا تخرج منه حتى يسمع لها صفير خشن كزئير الأسود .

وكان يضاء بالحطب ، يشعل في بعض زواياه . وقال فيه الشاعر :

ورأيت الليل فيه　　　من سنا العود نهارا

وكان اليمنيون يقضون اعواماً كثيرة في بناء القصر الواحد . فقصر سلحين مثلا قد تم بناؤه في سبعة وسبعين سنة . واتفق ان عمل في بنائه ـ مع الاباء ـ الأبناء والأحفاد . وهذا ما جعلهم يسخطون على الاحباش سخطاً شديداً جداً . فقد هدموا صروح مدنيتهم ، التي اكلت من جسومهم وجسوم ابنائهم ، ويثورون عليهم ثورة غذاها شيء كثير من حقد ومن موجدة .

وفي داخل القصور هذه كانت تغرس الجنائن ، وتجري المياه ، ويطير الطير في جو فسيح .

وفي قصر غمدان قال علقمة بن ذي يزن«١» :

فذاك غمدان مجزئلا　　　بناؤه العجب العجيب

اعلاه مبهمة رخام　　　عال وأسفله جروب

(١) المصدر السابق .

وكان السقف من سقوف غمدان مؤلفاً من قطعة رخام واحدة . وفي هذا ما فيه من روعة الفن ودقة النحت التي يعجز عنها العصر الحديث بما أوتي من علم الآلة ووفرة الادوات .

وقد ورد ذكر سبأ ـ اليمن ـ في القرآن الكريم : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ؛ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ؛ بلدة طيبة ورب غفور »

سيف في غمدان

وبالرغم من ان الأحباش هدموا قصر غمدان ، إلا أنهم لم يستطيعوا محوه من الوجود . فقد ظل بعظمته ، بقية ، يشتهي الناس ان يسكنوها ، حتى الملوك منهم .

وقد جعل سيف مقره في بقايا غمدان . وفيه يقول علقمة :

فذاك غمدان محزئلا كأنـــه جبل منيف
يسكنه ماجـــد أبي ترغم قدامـــه الأنوف

وفيه ايضاً يقول أمية بن ابي الصلت :

جلبنا المدح تحقبه المطـــايا الى اكوار أجمال ونوق

تؤم بنا ابن ذي يزن وتغري	ذوات بطونها ام الطريق
مغلغلة مرابعها ترامى	الى صنعاء من فج عميق
ولما واقعت صنعاء صارت	بدار الملك والحسب العريق

مقتل الملك سيف

جاء في مصادر عديدة ان الملك سيف ، حكم في اليمن خمسة عشر عاماً . وانه مات مقتولا . ولكن المصادر هذه لا تشير من قريب ولا من بعيد الى سبب مقتله ، وكيف دُبر ؟ ومن دبّره ؟ ونحن مع جهلنا الحقيقة حول هذا الحادث الخطير ؛ تراودنا فكرة لا نستطيع القطع بصحتها ، ولكننا نحاول ان نعرضها على القاريء ، بعد ان نبحثها ونعللها ما كان الى ذلك من سبيل :

اننا لا نعتقد ان احداً من العرب ، يبلغ به الطيش ان يقدم على قتل رجل كان نموذجاً من نماذج البطولة العربية والفكر العبقري ، انقذ بها قومه من الاستعمار والعبودية والذل . واخلص للعرب اخلاصاً نادر المثال .

وليس في سيرته - ملكا - على قلة ما يُعلم من هذه « السيرة الملكية » ، ما يمكن ان يكون عاملاً على كره

قومه له او حقدهم عليه . فمن هو اذن ذلك المجرم الذي اقدم على قتله ؟

وهل اقدم على ذلك مختاراً ، ام مدفوعاً مأجوراً ، ومن هم الذين استأجروه ودفعوه ؟!

اذا نحن اردنا جوابا منطقياً عن هذا السؤال ، وجب علينا ان نعمل الفكر ملياً ، في القلة الحبشية التي بقيت في اليمن ودانت لحكمها .. فما يدرينا ان تكون الحبشة الموتورة ، ظلت على اتصال بهؤلاء الاحباش الذين بقوا في اليمن ، او بعضهم ، وجعلت منهم جواسيس مأجورين ، واستغلتهم لتنفيذ مآربها المستترة ، ومنها قتل الملك سيف، انتقاماً منه ، وشفاء لغليل نفسها بقتله : وهو الذي هزم قواتها الاحتلالية ، وفتك بها ، وحطم كبرياءها وجلاها عن اليمن، وكانت لها فردوساً او شبه فردوس ، اننا ما نستطيع ـ بالنظر للاوضاع التي عرفناها ـ ان نسلط الشك الا على هؤلاء ؛ ونحسب اننا ما نظلمهم في هذا الشك . على اننا نعود فنقول ، اننا نشك فحسب . وذلك بالنظر الى الاوضاع التي بسطناها . ولا نقطع . ومهما يكن من امر ، فاننا نعتقد ان سيف راح شهيداً . وان حركته التحريرية في اليمن

تركت في نفوس العرب من بعده حساً كان له تأثيره غير اليسير في تقبل الرسالة الاسلامية والاقبال على الاسلام .



مراجع الكتاب

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ دائرة المعارف . للبستاني

٣ ـ المقتبس ـ محمد كرد علي

٤ ـ تاريخ اليمن ـ عبد الواسع الواسعي

٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية

٦ ـ » » » للأب لامنس

٧ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ الدكتور جواد علي

٨ ـ الآداب السلطانية ـ ابن الطقطقي

٩ ـ في العصر العباسي ـ الدكتور عبد العزيز الدوري

١٠ ـ العقد الفريد

١١ ـ الاكليل ـ للهمذاني

١٢ ـ قصص القرآن ـ محمد احمد جاد المولى ورفاقه

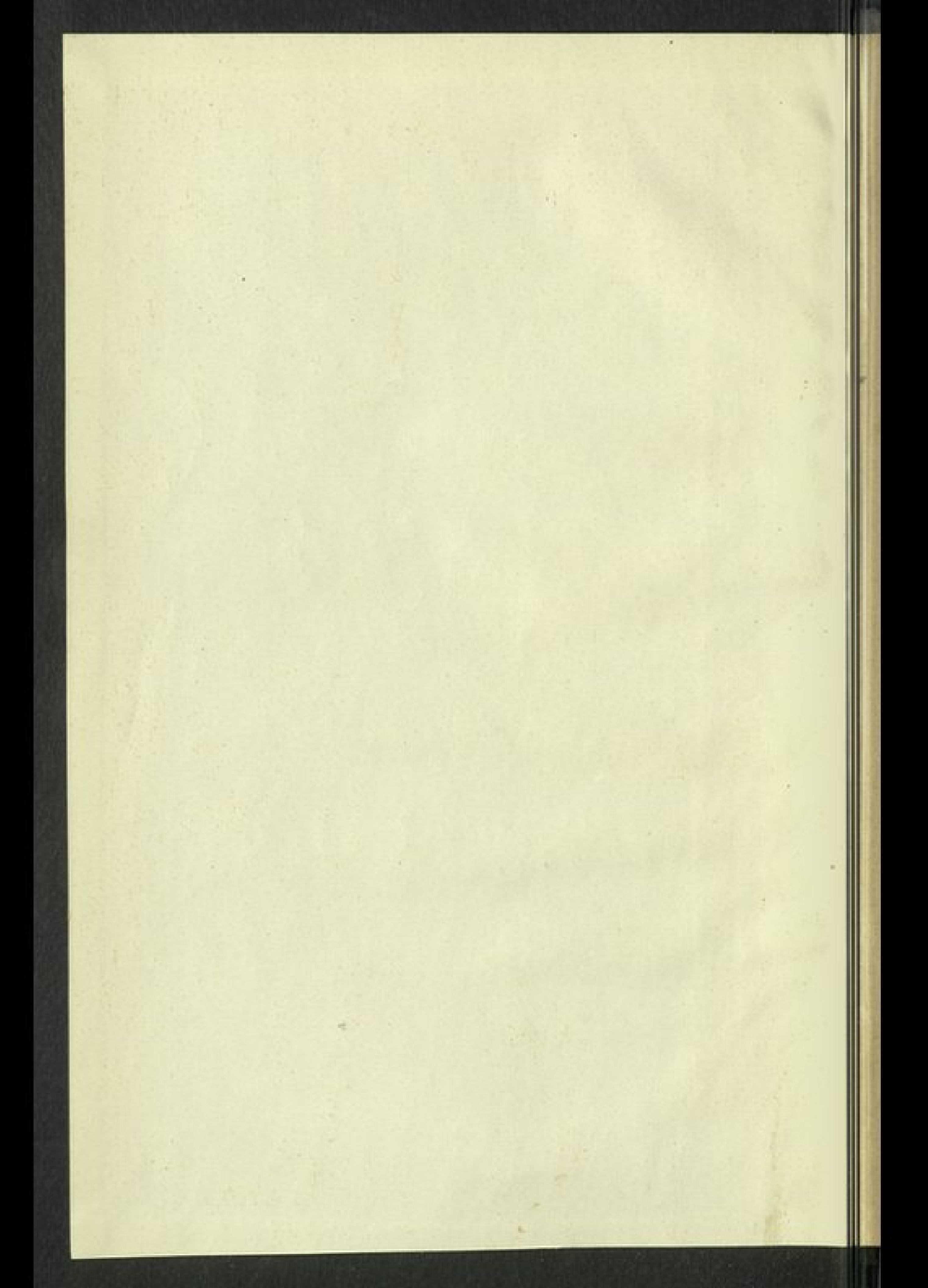
١٣ ـ الاسلام في الحبشة ـ يوسف احمد

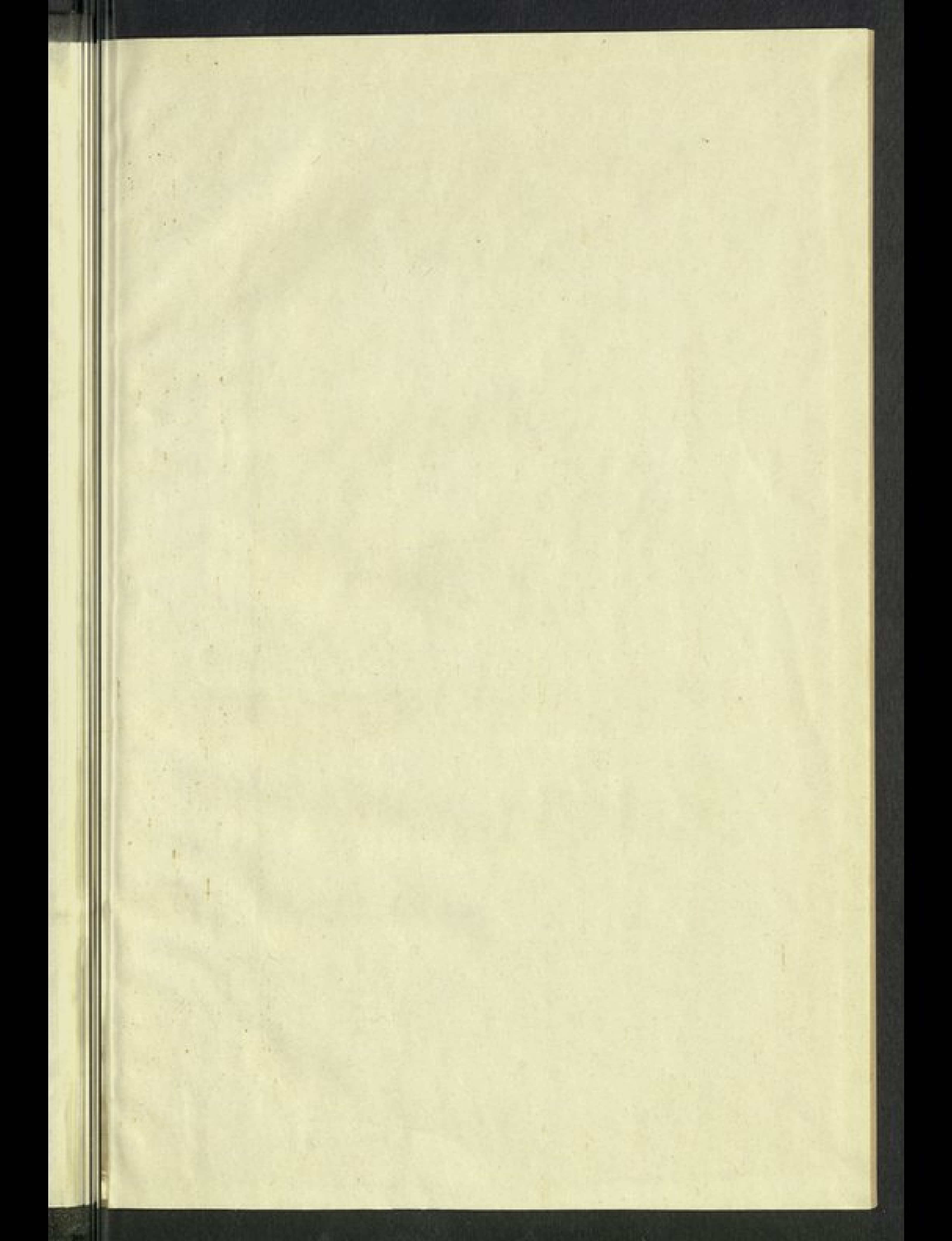
١٤ ـ نبذة من قصة اليمن ـ مجلة النجم ـ الاب هياسنت

١٥ ـ نهاية الارب للألوسي

١٦ ـ بلوغ المرام في شرح مسك الختام ـ للعرشي

١٧ ـ قضية العرب ـ علي ناصر الدين






AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT